305

HARLEQUIN

روايات أحلام

في عينيك اللقاء

لي ولكنسون

www.elromancia.com

مرمورية

في عينيك اللقاء

لقد عاد ليستعيد كبرياءه... وعروسه!
أن تهرب منه ڤيرجينيا في ليلة الزفاف. أمر لا يمكن أن يتركه رايان فالكونر من دون عقاب. هذا هو السبب الذي جعل رايان يعود بعد سنتين...
كان يريد أن يعلم لماذا هربت منه ڤيرجينيا بعد الحب العنيف الذي كان بينهما. وأكثر من هذا. كان يريد أن ينفذ انتقامه كما يحلو له...
ولن يستطيع أحد أن يقف في وجهه!

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	[illegible]	[illegible]
الأردن:	1.5دينار	[illegible]	[illegible]
الكويت:	750فلس	[illegible]	[illegible]
الإمارات:	10دراهم	[illegible]	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

٨٥٠

ISBN 9953-15-155-5

لي ويلكنسون

تعيش لي ويلكنسون مع زوجها في منزل ريفي مشيد من الحجر، يعود تاريخ بنائه إلى ثلاثماية سنة خلت، في قرية (ديربيشير)، التي غالباً ما تعزلها الثلوج شتاء. يتمتعان معاً بالسفر ومؤخراً قاما بالتعاون مع ابنتهما وصهرهما برحلة حول العالم دامت سنة كاملة دون انقطاع.
من هواياتها القراءة والاهتمام بالحديقة وإقامة حفلات الشواء المفاجئة لعائلتها وأصدقائها.

١ ـ مفاجأة غير سارة

www.elromancia.com

تسللت شمس حزيران من النافذة تبعث الدفء بعد انقضاء فصل الربيع البالغ البرودة.

نظرت فرجينيا من نافذتها في الطابق الثاني، فرأت كرة حمراء تُلقى بين الأشجار. ابتسمت ثم عادت إلى عملها في الفهرسة.

وما هي إلا لحظة، حتى رنّ هاتفها، فمدّت يدها النحيلة الطويلة الأصابع لترفع السماعة: «آلو؟».

جاءها صوت هيلين يقول بلهجة رسمية: «ثمة سيد يا آنسة أشلي يسأل عما إذا كان لدينا لوحات لبراد أو مايا آدامز. أخبرته أن ليس لدينا أياً منها في الفهرست، لكنه يريد أن يعلم إن كان بإمكاننا أن نحصل على واحدة».

أثناء السنوات الأخيرة، كثر الطلب على لوحات آدامز، ونشأت فرجينيا على فكرة أن والديها مشهوران... على الأقل في عالم الفن.
فقالت: «أنا قادمة».

اطمأنت إلى أن شعرها البني الحريري مرتب وأنيق، ورفعت عن عينيها النظارات السميكة التي تغيّر مظهرها وتجعلها تبدو أكبر من سنوات عمرها الأربع والعشرين، ثم غادرت مكتبها بخطوات واسعة، فبدت عملية بطقمها الحريري الأسود.

كان المعرض بيضاوي الشكل، ذا شرفة داخلية وتنيره كوّة عالية في

السقف، مغطاة بستارة معدنية لتحمي المكان من أشعة الشمس الساطعة.

نظرت فرجينيا من الأعلى فرأت أشخاص عدة يتمشون. وفي الناحية البعيدة، رأت رجلاً طويلاً حسن البنية أسود الشعر يقف قرب مكتب الاستقبال.

كان الرجل يقف باسترخاء، لا يبدو عليه أي أثر لفروغ الصبر، رغم أن الانتظار كان واضحاً عليه.

عندما وصلت فرجينيا إلى السلم الذي وضعت عند أسفله لوحة مربوطة بحبل كتب عليها (خاص)، التفت لينظر في اتجاهها. . . رايان!

لم تخطىء في تمييز ذلك الوجه الوسيم القوي الملامح، وتلك الكتفين المستقيمتين، وذلك الرأس المرفوع الأسود الشعر وتلك القامة القوية رغم رشاقتها.

ورغم أنه كان من البعد بحيث لم تستطع أن تميّز لون عينيه، إلا أنها تعلم جيداً أن لونهما يتماوج بين الأخضر والأزرق.

انحبست أنفاسها وجمدت في مكانها، وهي تتمسك بحافة السلم بيدين متشنجتين.

حتى بعد أن غادرت نيويورك وعادت إلى لندن، ما زالت خائفة من أن تراه. وتشعر بتوتر في أعصابها كلما رأت رجلاً طويلاً. لكنها، ومنذ ستة أشهر فقط، أخذت تشعر بأمان نسبي، واثقة من أنها تركت الماضي خلفها.

والآن يبدو أن ثقتها تلك لم تعد في محلها.

راح قلبها يخفق، وتملكها التوتر. فاستدارت وهربت عائدة إلى مكتبها الآمن.

جلست خلف مكتبها وهي تشعر بالغثيان، وتوسلت الله ألاّ يكون

قد رآها وعرفها. فهو إذا ما عرفها، ليس بالرجل الذي يعود بهدوء من حيث جاء. وتذكرت ما قاله مرة: «لن أدعك ترحلين أبداً».

وارتجفت. بالرغم من كل ما كان بينهما، فقد تركته لأنها لم تعد قادرة على احتمال ألم خيانته، ولأنها خافت من مواجهته ومن الدمار الذي قد يسببه ذلك للأسرة. هربت دون أن تقول كلمة.

لذلك لن يصفح عنها بسهولة.

لكن إذا لم يعرفها، فربما بالإمكان إنقاذ الوضع. . .

تناولت سماعة الهاتف راجية أن يكون تشارلز قد عاد من موعده المقرر لبعد الظهر.

لم تحصل على أيّ جواب من مكتبه في الطابق الأرضي. اتصلت فرجينيا بغرفة العروض الخاصة لكن من دون فائدة وفي قمة يأسها اتصلت بغرفة المعروضات الثمينة، فإذا به يجيب مذهولاً: «نعم. . . ماذا هناك؟».

كادت تبكي لشدة الارتياح: «آسفة لإزعاجك. ولكن هل يمكنك أن ترى زبوناً ينتظر في مكتب الاستقبال؟».

ـ وماذا يريد الزبون؟

ـ سأل ما إذا كان بإمكاننا الحصول على أيّ من رسوم آدامز من أجله.

فقال بدهشة: «يمكنك بالتأكيد أن تتولي الأمر».

ـ إنه شخص كنت. . . عرفته من قبل ولا أريد أن أراه. . . مرة أخرى.

ورغم أن فرجينيا حاولت جهدها أن تقلل من أهمية رؤيتها لهذا الرجل، إلا أن تشارلز لاحظ اللهفة في لهجتها، فقال: «لا بأس. دعي الأمر لي».

أحال الخوف لون عينيها الذي هو في الأصل مزيج من الأخضر

www.elromancia.com

والرمادي، أسود تقريباً. راحت تتساءل عما جعل رايان يأتي إلى هذا المعرض الفني من بين معارض المدينة كلها.

منذ عودتها إلى لندن منذ سنتين ونصف، وهي تستعمل اسمها الأوسط كشهرة لها، وتعيش مختبئة. لا أحد يعرف مكانها حتى والديها. وهي تقيم في فندق رخيص، مكتفية بالقليل من المال. لكن بما أن عيد الميلاد يقترب وهي بحاجة ماسة للعمل، أرسلها مكتب العمل إلى معرض رينور حيث أجرى معها المقابلة تشارلز بنفسه.

حدثته عن دراستها الفنية في كلية الفنون، موضحة له أنها وصلت لتوّها من الولايات المتحدة. وبعد أن تأملها بتفكير عميق وهي تتحدث، عرض عليها أن تعمل كمساعدة له.

بعد أن عملت عنده حوالى سنة، أخذ المعرض يتعامل مع أسرة آدامز. وعندما اقترح تشارلز عليها أن تكون حلقة الوصل بينهما، إضطرت إلى أن تخبره بجزء من الحقيقة. فقال محتجاً: «فرجينيا، عزيزتي، بما أنك ابنتهما، من المؤكد. . .».

ـ لا أريدهما أن يعلما بمكاني.

إنهما من معارف رايان، وهذا يجعل أي اتصال بهما خطراً للغاية.

قطّب تشارلز: «ولكن ألا يقلقان عليك؟».

ـ لا، وأنا واثقة من ذلك. لم نكن قط أسرة عادية.

وإذ رآه غير مقتنع، شرحت له: «كانت أمي قد تخرجت حديثاً من كلية الفنون عندما تعرفت إلى أبي القادم من الولايات المتحدة. كانا يرسمان منذ طفولتهما، وعاشا من أجل الفن. وبعد زواجهما عاشا في غرينويتش فيلاج قبل أن يعودا ليستقرا في إنكلترا. عندما ولدت أنا كانا في الثلاثينات من عمرهما. كنت، بالنسبة إليهما، غلطة. فأيّ منهما لم يكن يريدني. ولو أن أمي لم تنشأ على عقيدة أن الحياة مقدسة، لأجهضت نفسها».

ـ آه، حتماً هذا غير صحيح!

ـ كانا من الانشغال بعملهما بحيث شكّل طفل غير مرغوب فيه، تعقيداً لحياتهما. . .

ورغم أنها كانت تتحدث بفتور وهدوء، إلا أنه شعر بألم كامن في نفسها فرقّ قلبه عليها.

ـ كانا غنيين فوجدا الحل في سلسلة من المربيات، ثم في مدرسة داخلية للبنات. وكنت على وشك مغادرة المدرسة ودخول كلية الفنون، عندما عادا إلى أميركا ليعيشا هناك.

ـ وتركاك خلفهما؟

ـ كنت قد قاربت الثامنة عشرة حينذاك.

ـ ولكن، لا شك أنهما استمرا في مساعدتك، أعني مادياً؟

ـ لا. لم أقبل بذلك، بل فضلت أن أعمل في المساء وفي العطل الأسبوعية لأبقى مستقلة. لذا فعدم معرفتهما بمكاني حالياً لن يقلقهما. في الواقع، أشك في أن يكونا قد فكرا بي لحظة واحدة.

ـ حسناً، إذا كنت واثقة؟

ـ أنا واثقة تماماً.

ـ إذن، سأتعامل معهما شخصياً.

فسألته بلهفة: «ولن تخبرهما شيئاً؟».

ـ لا. سرّك دفين عندي.

شعرت بدفق من العطف نحوه. فهو رجل بالغ الرقة واللطف، وتنفست الصعداء لثقتها بأنه سيحفظ وعده.

حتى الآن. . .

وتحرك قفل الباب. رفعت بصرها بحدّة وكاد قلبها يقفز من صدرها.

كان تشارلز، أنيقاً متحفظاً، في بذلة العمل الرقيقة، وقد تدلت

www.elromancia.com

خصلة من شعره الأشقر الأجعد على جبهته فمنحته مظهراً صبيانياً، لا يفضح عمره الحقيقي الذي قارب الثالثة والأربعين.

عندما رأى وجهها يشحب، قال يطمئنها: «لا حاجة بك للقلق، فقد ذهب».

ربما، في عقلها الباطني، كانت تتوقع أن يندفع رايان إلى المكتب. واكتسحتها موجة من الارتياح إلى أن خطرت لها فكرة جعلتها تسأله بقلق: «ألم يسأل عني؟».

رفع حاجبيه الأشقرين يسألها وهو يجلس على كرسي أمامها: «ولماذا يسأل؟».

فعضت شفتها السفلى: «كنت أهبط السلم عندما عرفته. ظننته رآني وعرفني».

فقال تشارلز بهدوء: «لم يذكر ذلك. وبما أنه من النوع الذي لا يتردد في السؤال عن أي شيء يريده، أظن أن بإمكاننا أن نفترض أنه لم يعرفك».

وعندما رأى الارتياح البالغ على وجهها، تساءل عما حصل بينها وبين ذلك الرجل القويّ الشخصية الذي كان يتحدث إليه منذ برهة.

بدا واضحاً من رد فعلها، أن شعورها نحو ذلك الرجل أعمق بكثير من قولها ببساطة إنه شخص عرفته يوماً. ولعله جزء من السبب الذي جعلها ترفض عرضه للزواج بها.

سألته آملة أن تطمئن أكثر إلى أن زيارة رايان مجرد صدفة: «ماذا قال بالضبط؟ وكيف تصرف؟».

ـ كان سلوكه عادياً هادئاً. أخبرني أن اسمه رايان فالكونر، وأنه يريد لوحات قديمة لآدافر. أخبرته أنني سأبحث له عنها، ثم أخبره بالنتيجة في أسرع وقت ممكن. . .

ـ هل هو مقيم في إنكلترا؟

ـ لعدة أيام كما يبدو. أعطاني عنوانه في مانهاتان ورقم هاتف فندقه في حي مايفير.

مايفير! وكبحت رجفة تمتلكها. إنه قريب منهم للغاية. . . ما جعل شعورها بالارتياح يتبخّر.

ـ رغم أنه رجل أعمال، إلا أنه يهتم بالفن ويملك معرض فنون في نيويورك. . . لكن ربما تعرفين ذلك.

ـ نعم.

وعندما لم تزد في الكلام تابع يقول: «على أيّ حال، أظن أنّ اللوحات التي يرجو أن يشتريها هي لمجموعته الخاصة. ذكر لوحة من رسم مايا آدامز يريدها بشكل خاص، إسمها (صبية الأربعاء)».

وجمدت فرجينيا في مكانها.

ـ يعتقد فالكونر أنها رسمت منذ سبع أو ثماني سنوات، وهي إحدى أفضل لوحاته المفضّلة. . . لكني لم أسمع بها قط. . . أوضح لي أن المال لا يهم، لهذا وعدته بأن أبذل جهدي. طبعاً حتى لو استطعت العثور عليها، قد يرفض مالكها الحالي أن يبيعها.

شيء ما في مظهر فرجينيا الجامد، جعله يسألها: «هل تتذكرين هذه اللوحة؟».

تنفست بعمق، واعترفت قائلة: «في الحقيقة، نعم. إنها صورتي أنا، ولم أكن قد بلغت السابعة عشرة بعد».

لمعت عيناه الزرقاوان اهتماماً، وهتف: «لم أعلم أن أمك اتخذتك نموذجاً!».

ـ حصل ذلك مرة واحدة فقط. دُعيت لقضاء العطلة الصيفية مع زميلة لي في المدرسة. كانت جين من أسرة كبيرة سعيدة، وكنت متلهفة لقضاء العطلة معها، لكنها ألغيت في آخر لحظة، فعدت إلى بيتنا. قالت أمي إنّ من الأفضل أن تستغل وجودي. حاولت جاهدة أن

أفعل ما طلبته مني، ولكن لسبب ما، لم تعجبها اللوحة عندما انتهت، فلم تطلب مني بعد ذلك قط أن أجلس لترسمني.

ـ وماذا كان رأيك أنت في اللوحة؟

فأجابت بفتور: «لم أرها. وعندما عدت إلى البيت في العطلة التالية كانت قد بيعت».

والآن يريد رايان أن يشتريها.

هذه الحقيقة بعثت فيها الاضطراب بقدر رؤيته مرة أخرى... لكن لعل اختياره لوحة (صبية الأربعاء) مجرد صدفة. ربما لا يعلم أنها صاحبة الصورة.

لكن حدثتها غريزتها أن لا دخل للصدفة في ذلك وأنه يعلم الحقيقة تماماً.

وارتجفت وكان تشارلز يراقب وجهها، فسألها بدهاء: «إذا وجدت تلك اللوحة واشتريتها، فماذا سيكون شعورك حيال امتلاك فالكونر لها؟».

فقالت بحذر وهي تقلل من شأن الأمر: «أفضّل ألاّ يمتلكها».

ـ سأخبره إذن أنني لم أعثر عليها.

تذكرت الخسارة المالية التي عانى منها تشارلز في السنة الماضية، فابتلعت ريقها بصعوبة وأرغمت نفسها على القول: «لا. إذا استطعت أن تعثر عليها، ودفع هو مبلغاً حسناً، فلا تدع تحاملي عليه يقف في طريق العمل».

ـ حسناً، سنرى. قد تتحسن الأمور.

قبل أن تسأله تفسير قوله الغامض نوعاً ما، نظر إلى ساعته: «إنها الرابعة تقريباً. من الأفضل أن أتابع العمل».

نهض واقفاً، واقترح باهتمام بالغ اعتادت عليه: «تبدين شاحبة قليلاً. لِمَ لا تذهبين إلى بيتك؟».

كانت تشعر بقلق بالغ وبعدم رغبة في العمل فقالت شاكرة: «لديّ صداع بسيط، ولهذا أظنني سأذهب إذا كنت حقاً لا تمانع».

هز رأسه باسماً: «بما أن اليوم هو الاثنين، أنا واثق من قدرتنا، أنا وهيلين، على مواجهة أي طارىء».

ثم توقف عند الباب، ليقول: «آه، بالمناسبة، لن أعود إلى البيت في الوقت المعتاد، فقد قبلت دعوة على العشاء مع الزبون الذي قابلته اليوم».

غاص قلبها. فبعد ما حدث، كانت بحاجة إلى وجوده المتفهم.

ـ وحيث أنه دوري في الطهو...

كانت فرجينيا قد انتقلت إلى الغرفة الإضافية لديه، واتفقا على أن يتناوبا في الطبخ للعشاء. وتابع مقترحاً: «يمكنك أن تحضري طعاماً جاهزاً على نفقتي..».

فسألته: «هل ستمر على المطعم الصيني لتحاسبه؟».

فردّ ضاحكاً: «ربما، إذا وعدتني بأن تبقي لي بعض الفريدس المقلي».

ـ سأفعل هذا!

كم هو بالغ اللطف والإهتمام بالغير، كما خطر لفرجينيا بعد خروجه. سيكون زوجاً رائعاً، كما أنه رفيق ممتاز، سهل المعشر حسن المزاج، بالإضافة إلى تلك الميزة النادرة وهي قدرته على أن يتفهم وجهة نظر الآخرين.

وهو رجل وسيم ذو جاذبية هادئة لا يمكن تجاهلها. وفرجينيا واثقة تقريباً من أن هيلين غارقة في حبه منذ سنة. من المؤسف أنها لم تستطع هي أن تحبه كما يحبها.

منذ أسابيع، فاتحها بموضوع الزواج بخجل وحذر خوفاً من أن يفزعها. حتى ذلك الحين، كانت تظنه أعزب ثابتاً على مبدئه، ولم

www.elromancia.com

يخطر لها قط أن يعرض عليها الزواج.

ـ لم أكن أدرك كم تنقصني الصحبة حتى جئت أنت... حتى عشت هنا... حسناً، أحدث ذلك تغييراً كبيراً في حياتي... ويبدو أنك سعيدة بهذا الترتيب بيننا...

فابتسمت بحرارة: «نعم. هذا صحيح».

شجعته ابتسامتها، وبدا الجد في عينيه، ثم تطرّق إلى الموضوع: «فرجينيا، أود أن أطلب منك شيئاً، ولكن، إذا كان جوابك (لا)، فعديني ألاّ يغيّر ذلك شيئاً من صداقتنا».

ـ أعدك

ـ لا بد أنك تعلمين أنني أحبك...

فسألته برقة: «ألا تظن أن لشعورك هذا صلة بتقاسمي الشقة نفسها معك؟».

فهز رأسه: «لقد أحببتك منذ وقع نظري عليك».

ثم أضاف: «يسعدني جداً أن توافقي على الزواج مني».

تملكها الإغراء لحظة. ورغم أنها تحب مهنتها وتعبت جداً في تعلّمها، ألاّ أنها كانت دوماً تضعها في المرتبة الثانية بعد تأسيس أسرة. لكن الأمر لن يكون منصفاً بحق تشارلز. إنه يستحق زوجة تحبه، وليس امرأة مثلها لا تشعر نحوه سوى بالعطف.

وهكذا تنفست بعمق: «آسفة... آسفة أكثر مما يمكنني أن أقول... لكنني لا أستطيع».

ـ هل هو فرق السن؟

فقالت صادقة: «لا».

لو كانت تحبه حقاً لما وجدت للعمر أهمية.

دفع خصلة الشعر الشقراء التي كانت تتدلى على جبهته وقال: «كنت أرجو أن تفكري في الأمر على الأقل. لكن لعلي لا أعجبك بما

يكفي».

ـ بل أنا معجبة بك وأحترمك أيضاً، وفي الواقع أنا مولعة بك جداً، ولكن...

ـ من المؤكد أن هذا يكفي لإنجاح الزواج.

قال هذا بلهفة، لكنها هزت رأسها: «إنه ولع أخويّ، وهذا لا يكفي».

ـ أنا مستعد للتجربة. كثير من الزيجات مبني على أقل من هذا.

ـ لا. لن يكون هذا إنصافاً لك...

وعندما رأى عدم الارتياح على وجهها، ربت على يدها وقال بحزم: «لا تقلقي. أعدك بألاّ أتطرق إلى هذا الموضوع مرة أخرى. ولكن لا تنسي أنني أحبك وأنني مستعد للقيام بأي شيء لأجلك... وإذا غيرت رأيك ذات يوم، فمازال عرض الزواج قائماً».

إنه رجل رائع. أرادت أن تحبه، لكن الحب شعور لا يمكنها السيطرة عليه وقد دفعت ثمن تجربتها.

لقد حاولت، بعد ما واجهته من أخطار، أن تنسى حب رايان لكنها فشلت. إلاّ أنها لن تفكر فيه بعد الآن...

وخيّل إليها أن رايان بوجهه الأسمر وعينيه الزرقاوين يبتسم لها ساخراً من تفكيرها هذا.

الفكرة الوحيدة التي خطرت لها في أول لقاء لهما هي أنها لم ترَ من قبل عينين بمثل هذا اللون الخلاّب. تباً، ها هي ذي تفكر فيه.

صرفت بأسنانها وهي تغلق النافذة، ثم حملت حقيبة يدها، واتجهت إلى السلم الخلفي. وبدلاً من أن تتجه إلى الطريق الرئيسي لتستقل سيارة أجرة، كما تفعل عادة عندما لا يوصلها تشارلز إلى البيت بسيارته، وقفت مترددة.

بدت الحديقة العامة بديعة للغاية وأشعة الشمس تداعب الأزهار.

www.elromancia.com

فكرت في أن تسير إلى بيتها عبر الحديقة، علّ هذا يعيد الصفاء إلى ذهنها ويبدد التوتر الذي يتملّكها.

وفجأة، فرغ صبرها من نظارتها فدستها في حقيبتها، ثم دخلت الحديقة.

كانت تسير بنشاط وكأنها تحاول أن تسابق أفكارها. لكن رغم محاولاتها، كانت أفكارها تعود دوماً إلى رايان، وسبب مجيئه إلى المعرض، ورغبته في أن يشتري لوحة (صبية الأربعاء)؟

أتراه يريد صورة لها... ليخزها بالدبابيس، فينتقم منها؟

التفكير في هذا القدر من الغضب المكبوت والكراهية لها أخافها حتى الموت. أخذت ساقاها ترتجفان فألقت بنفسها على أول مقعد خشبي رأته، وأخذت تحدّق بعينين لا تبصران.

كانت ترجو أن يخفف الزمن من العداوة التي يكنّها لها. ولكن لما يخفف الزمن من شعوره ذاك، بينما لم يخفف من شعورها هي نحوه؟

الحيرة، الإستياء، الشعور بالغدر، جرح الكرامة...

ودون إنذار مسبق، شعرت بيدين تغطيان عينيها، وصوت أجش يقول في أذنها: «خمّني من أنا».

شعرت وكأن قلبها توقّف عن الخفقان، وكاد الإغماء يصيبها ليحملها إلى الهاوية...

ما إن بدأ الضباب ينقشع، حتى وجدت نفسها آمنة يضمها صدر فسيح، وقد استراح رأسها على كتف قوية والشمس الدافئة تدغدغ وجهها.

تمالكت نفسها، ثم حاولت أن تحرر نفسها من بين ذراعيه.

كانت خفقات قلبها كضربات المطرقة، وأنفاسها سريعة ضحلة. حدّقت إلى ملامح رايان الصلبة الخشنة... إلى وجه تعرفه كما تعرف وجهها. وجه لطالما نظرت إليه وهما مخطوبان، ولم تتمكن من نسيانه

على الإطلاق.

كان شعره الكث الأسود مقصوصاً، فمه لا يزال جميلاً كما تتذكره، وكذلك تينك العينين بأهدابهما الطويلة ولونهما الأزرق الداكن.

إنهما عينان كفيلتان بأن تجعلا أيّ رجل عادي، يبدو ساحراً وجذاباً. إلا أنّ رايان أبعد ما يكون عن الرجل العادي حتى من دون هاتين العينين الرائعتين. فسيبدو شخصاً مميزاً ولو كان بين جمع غفير من الناس.

وبحركة متملّكة، أزاح عن وجنتيها الشاحبتين خصلة شاردة من شعرها البني الأجعد.

أجفلت ظناً منها أنه سيصفعها. وبدا الألم على وجهه وهو يقول معاتباً: «يا عزيزتي فرجينيا، لا تتصرفي وكأنك تخافين مني».

فقالت بصوت أجش: «إذن، فقد رأيتني في المعرض؟».

ـ لمحة واحدة فقط قبل أن تهربي. يبدو أن الهرب حصنك المنيع.

عضت شفتها ثم سألته: «لماذا لم تقل شيئاً لتشارلز؟».

فأجاب ساخراً: «فكرت في أن أجعلها مفاجأة لك».

وقد نجح في ذلك. ورغم الجوّ الدافىء، ارتجفت: «كيف علمت أنني سأكون في هذه الحديقة؟»».

ـ انتظرت حتى رأيتك تخرجين من المعرض، فتبعتك.

ـ لماذا تبعتني؟

لمعت أسنانه بابتسامة الذئب: «خطر لي أن الوقت حان لكي نتفاهم».

ـ ما من شيء يقال بيننا.

وقفزت واقفة، ثم خطت بشكل غير ثابت.

ـ لا تستعجلي بالذهاب.

www.elromansia.com

ومد يده يقبض على معصمها، فقالت وهي تترنح: «دعني أذهب. لا أريد أن أتحدث إليك».

جذبها ليعيدها إلى المقعد، ثم أجلسها بهدوء محاذراً أن يؤذيها. وبعد أن جلس، ابتسم قليلاً: «إذا كنت لا تريدين أن تتحدثي معي فيمكنني أن أفكر في شيء أكثر إثارة».

فصرخت مذعورة: «لا!».

وإذ لم يعد أمامها خيار آخر، أذعنت قائلة: «ما الذي تريد أن تحدثني عنه؟».

ـ أريد أن أعرف سبب هربك، ولماذا تركتني من دون أيّ كلمة...

كان صوته عادة، دافئاً جذاباً... ولطالما سحرها. لكنه بدا الآن بارداً كالثلج، مما أرسل قشعريرة في جسدها. وتابع يقول: «لماذا لم تخبريني على الأقل، عما أغضبك؟».

نزعت معصمها من يده وهي تواجهه بغضب بالغ وعينين ملتهبتين: «كيف تتظاهر بالبراءة؟ وبالجهل؟ فتسألني عما أغضبني؟».

تنهد: «يمكنك أن توفري ثورة الأعصاب هذه وتخبريني».

ولعدم رغبتها في الكشف عن مدى ألمها ووحشتها، ابتلعت اتهامها الغاضب، وقالت بألم: «لقد انتهى ذلك منذ عامين. ولا أرى ذلك مهماً الآن».

لكنه مهم طبعاً، وسيكون كذلك دوماً.

وتابعت تقول: «أصبحنا شخصين مختلفين الآن. والفتاة التي كنتها ذات يوم لم تعد هي نفسها».

ـ لقد تغيرت بكل تأكيد.

اعترف بذلك وهو يتأمل وجهها البيضاوي وملامحها الرقيقة، وعينيها الخضراوين الرماديتين بأهدابهما الطويلة، وأنفها القصير

المستقيم وفمها الجميل العاطفي. وتابع يقول: «حينذاك، كنت صغيرة بريئة متوهجة الجمال، متألقة».

إذا كان هذا صحيحاً، فلا بد أن الحب هو الذي كان يجعلها تبدو كذلك. فالسعادة منبع للجمال.

ـ والآن أصبحت...

وتلاشى صوته وسكت فجأة. لكنها تعلم جيداً ما الذي أوشك أن يقوله. في كل صباح كانت مرآتها تعكس لها صورة امرأة صدمتها الحياة. امرأة تلاشى تألقها، وأصبحت ضعيفة، حزينة العينين رغم جهودها لكي تبتسم.

وغصت بريقها وهي تقول: «أدهشني أن تعرفني من تلك اللمحة البسيطة».

ـ كدت لا أعرفك. وشعرك البسيط الصارم والنظارات على عينيك غيّرت مظهرك إلى حد كبير. واسم (الآنسة آشلي) جعلني أتساءل. ولو أنني لم أكن أتوقع رؤيتك...

فقاطعته بحدّة: «إذن، كنت تعلم أنني هنا؟».

ـ نعم. أنا أعلم. علمت ذلك منذ فترة. هل ظننت حقاً أنني لا أستطيع العثور عليك؟

لم تجب وإنما سألته: «ما الذي جعلك تأتي إلى المعرض؟».

ـ قررت أن أرى الأمور شخصياً.

ـ أخبرت تشارلز أنك تريد لوحة(صبية الأربعاء).

ـ هذا صحيح.

ـ لماذا؟

ـ يمكنك أن تخمّني السبب بكل تأكيد. هل هو قادر على أن يجدها لي؟

ـ ليس لدي فكرة.

www.elromancia.com

ـ لكنه لن يجدها إذا استطعت أن تمنعيه؟

لم تجب، فأضاف مبتسماً: «لا أظن أني سأكون بحاجة إلى لوحة(صبية الأربعاء) عندما يصبح لديّ الأصل».

خافت أن تسأله عما يعنيه، فبقيت صامتة، وهي تبعد نظرها عنه. وتابع يقول: «فهمت من تصرفات تشارلز أنك لم تخبريه عن . . خطبتنا . . . ؟».

ـ هذا أمر لا أحب التحدّث عنه.

عبس للهجتها: «ماذا ستخبرينه الآن، بعد أن رآني في مكان عملك؟».

ـ قلت له لتوّي إنك رجل عرفته ذات يوم ولا أريد أن أراه مرة أخرى.

ـ يا له من تبخيس وعدم مبالاة.

ـ وهذه هي الحقيقة.

رأت وجهه يتوتر غضباً قبل أن تعود ملامحه إلى الجمود: «عليك أن تقولي له إنني كنت أكثر من مجرد شخص عرفته ذات يوم».

تململت متلهفة للرحيل، لكنها كانت تعلم أنها لن تتمكن من ذلك إلا بإذنه. فقالت بتوتر: «كل هذا من الماضي وقد انتهى كل شيء».

ـ هذا غير صحيح.

ـ بالنسبة إليّ، كل شيء انتهى.

فهز رأسه: «أنت مخطئة في ذلك. أريدك أن تعودي إليّ».

ـ ماذا؟

وكرر بهدوء: «أريدك أن تعودي إليّ».

فصرخت وقد جعلها الاضطراب تتلعثم: «لن أ . . . أعود إليك أبداً».

فقال بمرح: «كلمة (أبداً) هي مدة طويلة».

ـ أنا أعني ذلك، يا رايان. لا شيء تقوله أو تفعله سيجعلني أغير رأيي.

ـ لا تراهني على ذلك.

وجعلت ابتسامته الصغيرة الملتوية الدم يجمد في عروقها. ووجدت نفسها تتوسل إليه: «أرجوك يا رايان . . . لقد بدأت حياة جديدة، ولا أريد سوى أن تتركني أستمتع بها».

ـ أخبرتني ذات مرة أنك تكرهين العيش وحدك.

ـ أنا لا أعيش وحدي.

كانت كلمات متمردة تقصد بها التأثير عليه.

ـ دعيني أفهم الأمر. هل تتحدث عن مجرد المشاركة في المسكن؟

فأجابت بوقاحة: «لا. ليس مجرد مشاركة».

إذا اعتقد أنها متورطة مع شخص آخر، فقد يتركها وشأنها. فهي لا تريد أن تسبب لنفسها الألم مرة أخرى.

جمد في مكانه قبل أن يسألها بهدوء: «هكذا إذن؟ من هو ذلك الرجل؟».

ـ هذا ليس من شأنك.

ـ أنا أجعله من شأني.

وسمّرتها عيناه الزرقاوان ثم كرر: «من هو؟».

ـ تشارلز.

فضحك غير مصدّق: «ذلك العجوز؟».

ـ إياك أن تجرؤ على وصف تشارلز بالعجوز، فهو لطيف وحساس وأنا مدينة له بالكثير. لقد منحني العمل والمأوى حين كنت في غاية اليأس.

ـ أعلم أنك تشاركينه منزله . . . مخبري الخاص تبعكما بما يكفي. لكن معرفتي بك تجعلني أتردد في تصديق أن (عرفانك) لجميله

www.elromancia.com

كافٍ ليجعلك ترتبطين به.

ـ ليس عرفان جميل وحسب، فأنا أحبه ومن كل قلبي.

حدثتها ابتسامته الساخرة أنه لم يصدق حرفاً من ذلك.

ـ لكن علاقتكما لا تبدو حميمة جداً في المنزل. أعني ليس كشخصين متحابين.

ـ وما الذي جعلك تظن ذلك؟

ـ أنا لا أظن، بل أعلم.

ـ وكيف تعلم شيئاً كهذا؟

ـ يمكن للخدم أن يكونوا مصدراً ممتازاً للمعلومات. السيدة كرابتري تسعد بالأقاويل.

غاص قلب فرجينيا. السيدة كرابتري، الثرثارة البشوش! وهكذا قالت تعترف: «لا بأس، فتشارلز يفضل المحافظة على التقاليد ويحرص على المظاهر».

ـ هذا ليس مدهشاً. إنه كبير في العمر بما يكفي ليكون أباك.

ـ إنه ليس كذلك.

ـ هراء. لا بد أنه في الخامسة والأربعين.

ـ بل هو في الثالثة والأربعين. على أيّ حال، لا علاقة للعمر بذلك، فهو شخص رائع.

كانت تشعر بتأنيب في ضميرها وهي تتكلم. لم يكن منصفاً بحق تشارلز أن تستغله بهذه الطريقة. ربما عليها أن تخبر رايان الحقيقة... لكنها ابتعدت كثيراً عن الحقيقة بحيث لم يعد بإمكانها أن تتراجع الآن.

فقال وفي عينيه لمعان خطير: «أرجو، ولمصلحة الجميع، أن تكوني كاذبة».

ـ هل تتوقع مني حقاً أن أعيش من دون حب طيلة حياتي؟

ـ كنت كذلك عندما عرفتك.

ـ كنت ساذجة بريئة. لكنك علمتني الكثير، ومن الصعب جداً أن أعود إلى الوراء.

نظرت إليه متسائلة... وقررت أن توجّه ضربة إلى غرور الرجل فيه: «هل تظن نفسك الرجل الوحيد الذي يمكنه أن يثير مشاعري؟».

ـ لكنني لم أكن أظن أن تشارلز هو من النوع الذي يعجبك.

ـ نحن منسجمان تماماً، وهو يريد أن يتزوجني.

احمرت وجنتا رايان: «لن يتحقق هذا إلاّ على جثتي. لن أدع أحداً يأخذك مني».

فقالت وكأنها تحاول أن تتعلق بقشة: «قلت لتوّك إني تغيرت كثيراً، حتى أنني لم أعد جميلة».

ـ هذا غير صحيح، فأنت لم تعودي جميلة وحسب، بل أصبح جمالك حاداً لا يبارح النفس.

ـ حتى ولو كان هذا صحيحاً، فالعالم مليء بالنساء الرائعات الجمال.

خصوصاً واحدة بالذات.

ـ في الماضي، حصلت على نصيبي من النساء الجميلات. لكن ما من واحدة منهن تصلح لي. أنت وحدك التي أريدها في حياتي.

فصرخت بائسة: «لا أفهم السبب».

فقال بصوت بارد كالفولاذ: «لسبب واحد، وهو الثأر. وأنت مدينة لي».

***

www.elromancia.com

٢ ـ هزة في الأعماق

همست وقد ابيضت شفتاها: «ثأر؟».

ـ لماذا يدهشك هذا؟ لا بد أنك تعلمين أن تركك لي بذلك الشكل جعلني أبدو أحمق للغاية؟

لم تستطع أن تنكر ذلك. جزء منها أراد أن يثأر منه، أن يجرحه كما جرحها، ويدمره كما دمرها.

وخوفاً من أن يقرأ هذا في عينيها، حوّلت نظراتها بعيداً، تنظر إلى صبي صغير يركض ناحية البحيرة.

عندما ركع قرب حاجز منخفض لكي يضع سفينته في الماء، نادته أمه التي كانت تدفع عربة طفل: «حذار يا توماس فالمياه عميقة».

وعندما عادت فرجينيا بانتباهها إلى ريان، أخذ يقنعها: «بعد أن اختفيت ولم أعد أعرف مكانك، كدت أجن من القلق. ومنذ ذلك الحين أمضيت سنتين ونصف، وأنفقت مبلغاً طائلاً من المال في البحث عنك. وها قد وجدتك الآن، وأريدك أن تعودي إلي كي أعانقك وأعانقك. . ألا تثير هذه الفكرة مشاعرك؟».

اكتسحتها موجة ساخنة، وقالت بصوت ثقيل: «لا، لا أستطيع احتمال التفكير في أنك تلمسني».

تألقت عيناه الجميلتان: «سيمنحني ذلك رضىً بالغاً، ويضيف إلى بهجتي قدراً غير محدود من السعادة. . . ».

وإذا بصرخة رعب ترتفع، وتخبّط في الماء، يقطعان عليه الحديث.

وسرعان ما ركض رايان نحو البحيرة، فيما تابعت المرأة التي تجر العربة صراخها الهستيري. وما هي إلا لحظة حتى ألقى بنفسه في البحيرة.

تسمرت فرجينيا مكانها وأخذت تنظر إليه وهو يرفع الجسم الصغير من الماء ويضعه على كتفه. وأنبأها صراخ الخوف الصادر عن الطفل بأنه لم يُصب بسوء.

أخذ ذهن فرجينيا يعمل بسرعة. أدركت أنه لم يحدث أيّ ضرر حقيقي، فأمسكت حقيبة كتفها ثم هربت، تاركة رايان وحده.

أسرعت قدر إمكانها إلى أقرب باب، ثم خرجت إلى الشارع المزدحم.

مرت سيارة أجرة فأوقفتها ثم قفزت إلى داخلها وهي تلهث وخفقات قلبها تتسارع.

ـ إلى أين يا سيدتي؟

ـ ستة عشر، شارع أشر.

أسندت رأسها إلى الخلف وكان العرق يتصبب منها بغزارة، ثم أخذت تنظر إلى ناحية الحديقة العامة. لم ترَ أيّ أثر لرايان إلاّ أن كل عضو فيها كان يرتجف. وراحت تشكر الله لأنها تمكنت من الهرب. لكن إلى متى؟ فرايان يعلم كل شيء عنها، مكان عملها، وعنوان سكنها، وتحركاتها. . . لقد قال إنه يريدها أن تعود إليه، وهو ليس بالرجل الذي يذعن.

مجرد رؤيتها له مرة أخرى، هزمتها. لكن معرفة أنه يريد استعادتها، زادت الأمر سوءً. فهي لم تتوقع ذلك على الإطلاق. ولم تفكر قط في أنه قد يرغب بعودتها إليه.

إنها فكرة تجمّد الدم في عروقها. كل ما يريده هو الانتقام. فهو لا يحبها. ولو أحبها لاختلف الأمر...

لكن لو أحبها لما تركته منذ البداية على الإطلاق.

وقطع حبل أفكارها المحمومة صوت سيارة الأجرة وهي تستدير وتدخل شارع أشر، ثم تقف أمام المبنى الذي تقيم فيه.

كان تشارلز قد ورث هذا البيت عن والديه منذ حوالى الخمس سنوات، وهو مرتاح فيه، لا سيّما وأنه قريب من معرضه.

وفجأة شعرت فرجينيا بالضيق وهي تتذكر ما قاله رايان عن أن مخبره الخاص يتبعها أنّى ذهبت.

خرجت من السيارة ثم صعدت الدرجات راكضة لتدخل إلى المبنى. شعرت وكأن عينين غير مرئيتين تثقبان ظهرها.

أسرعت من الردهة إلى غرفة الجلوس الجميلة الأثاث وألقت بحقيبتها على الأريكة ثم سارت إلى النافذة تنظر من خلال ستائرها بحذر، متوقعة أن ترى رجلاً غريباً يقف هناك ليراقبها. لكن الشارع المشمس الذي تحيط به الأشجار، كان خالياً.

وما لبثت أن شعرت بالوهن، وأخذت تؤنب نفسها. لكن محاولتها للخروج من حالتها هذه بالمزاح، فشلت بشكل محزن. فالخطر المحدق بها حقيقة مخيفة لا يمكن تبديدها بالضحك.

شعرت برأسها ينبض بعنف، فسارت إلى المطبخ لتحضّر لنفسها كوباً من الشاي وتبتلع قرصي أسبرين، ثم قررت أن تستحم وتغسل شعرها، فقد يشعرها ذلك بشيء من التحسن.

عندما مدّت يدها إلى الشامبو، وجدت نفسها تفكر في رايان. لا بد أن ملابسه تبللت تماماً بعد أن غطس في الماء... أتراه عاد إلى الفندق سيراً على قدميه؟ أتراه هو أيضاً يستحم في هذه اللحظة بالذات؟

وبينما كان البخار المعطّر يرتفع حولها، جمدت يداها وهي تتذكر

عناقه المحموم، المثير...

ارتجفت فأقفلت صنبور الماء وراحت تنشف جسدها بنشاط لا ضرورة له. وتدعك جلدها الذهبي حتى أصبح وردياً متوهجاً.

كانت لا تزال حافية القدمين وشعرها المجعد مبللاً ومرسلاً على طبيعته فوق كتفيها، حين رن جرس الهاتف.

أوشكت أن ترفع السماعة عندما خطر لها أن المتصل قد يكون رايان، فترددت. من غيره يمكن أن يتصل بها؟ من غيره يعلم أنها في بيتها قبل موعدها المعتاد؟

تركته يرن، لكن إلحاحه أخذ يمزق أعصابها فرفعت السماعة.

ـ فرجينيا؟

كان هذا تشارلز، وقد بدا في صوته شيء من القلق.

فقالت بسرعة: «نعم، نعم. أنا هنا».

ـ هل من خطب ما؟

تنفست بعمق: «لا. طبعاً لا».

ـ اتصلت لأطمئن عليك.

ـ نعم، أنا بخير.

ـ هل هذا أكيد؟

قاومت رغبتها في أن تخبره عن رايان، وأن ترجوه أن يعود إلى البيت، ثم قالت ببشاشتها المعتادة: «هل لديك فكرة عن موعد عودتك؟».

ـ ينبغي أن أكون في البيت حوالى الثامنة والنصف. لا تنسي أن تبقي لي بعض القريدس المقلي.

ـ لن أنسى. إلى اللقاء.

يمكنها أن تتصل بمطعم ليرسل لها عشاءها. وهذا لا يعني أنها جائعة الآن، لكن لا بد لها أن تأكل شيئاً فقد يساعدها على التخلّص من

www.elromancia.com

الشعور بالفراغ والغثيان اللذين يلازمانها منذ سمعت صوت رايان يقول(خمّني من أنا) في الحديقة العامة. كان وجه رايان يسبح أمام عينيها، حين أجابها صوت رتيب: «مطعم«جيد غاردن». مساء الخير».

كان ذهنها مشغولاً برايان، مما جعلها تتخبط في الكلام وتتلعثم مرات مرات.

عادت إلى غرفة الجلوس تتجول في أرجائها، وقد منعها القلق والتململ من الاستقرار في مكان واحد. . .

ما الذي سيفعله رايان؟ كانت واثقة من أنه لن يدع الأمور على حالها. فهو يريدها وهو لا يتخلى أبداً عن أهدافه. . .

ورغم أنها كذبت وادّعت أنها على علاقة بتشارلز، إلا أن ذلك لم ينتج التأثير المطلوب.

لكن حتى لو صدّقها، فهل هذا سيمنعه؟ وتذكرت وجهه وهو يقول: (لن أدع أحداً يأخذك مني) واقشعر جلدها.

رؤيتها مرة أخرى، وشعورها بقوة إرادته، جعلاها تشك في قدرتها على الصمود في وجهه.

لا! عليها ألاّ تفكر بهذا الشكل. وإذا اضطرت ستخبر تشارلز الحقيقة كلها، طالبة صفحه ومساندته. فهو ليس عجوزاً ضعيفاً كما وصفه رايان ساخراً. في الواقع، كان بمثل قوة رايان وعزيمته الهادئة، لكن ذلك لا يبدو واضحاً عليه.

لكن كيف بإمكانها أن تطلب العون من تشارلز، وتسأله أن يدّعي أنه حبيبها، فيما أنكرت عليه هذا الحق حين رفضت عرضه للزواج؟

وفجأة شعرت بالخزي يتملّكها لمجرد التفكير في توريطه أكثر. عليها أن تتدبّر أمورها من دون مساعدته.

تعرف أن رايان مخطط ممتاز إلا أنه ارتكب هذه المرة غلطة شنيعة، فقد اعترف أنه جاء ليجعلها تدفع ثمن هجرها له.

ورغم أن جاذبيته لم تفقد قوتها، إلاّ أنّ معرفتها لنواياه ستمكّنها من الصمود أمامه. سوف تمنعه من القيام بشيء.

قطع رنين جرس الباب حبل أفكارها. لقد وصل العشاء من المطعم أسرع من المعتاد.

حملت كيس نقودها لتدفع ثمن العشاء وسارت إلى الباب تفتحه.

لكن المفاجأة جعلتها تبطىء في صفق الباب في وجه رايان الذي دخل مالئاً الردهة بعرض كتفيه وقامته الطويلة.

أغلق الباب خلفه ووقف مستنداً بظهره إلى الجدار. بدا أنيقاً وجذاباً للغاية.

صرخت بذعر: «أخرج! لا يحق لك الدخول إلى هنا عنوة».

ـ لم أدخل إلى هنا(عنوة). رغم أنني كنت سأفعل هذا إذا اضطررت.

أخذ يتأمل ثيابها، ووجهها المتألق الشعر البني المجعد المسترسل على كتفيها، ثم قال: «تبدين وكأنك على وشك الخلود إلى الفراش. لكن رينور لا يشاركك الفراش طبعاً، أليس كذلك؟».

وعندما توترت شفتاها الناعمتان ولم تقل شيئاً، أضاف: «أخبريني يا فرجينيا، هل يغازلك بشغف؟ أين يقوم بذلك عادة؟».

فصرخت به: «كفى!».

ـ بعد ما أخبرتني به، لا تلوميني على فضولي هذا.

قالت وهي تتمنى بحرارة لو أنها أبقت فمها مقفلاً: «أريدك أن تخرج الآن! قبل أن يعود تشارلز. فهو لن يتأخر».

هز رأسه: «لا فائدة، يا فرجينيا، يا حبيبتي. أعلم جيداً أنه لن يأتي قبل وقت طويل. . .».

كيف علم بذلك؟

ـ لكن، أتظنين حقاً أن احتمال قدوم رينور سيخيفني ويجعلني

www.elromancia.com

أخرج؟

لا. إنها لا تظن ذلك. رفعت رأسها وقالت تهدّده: «بإمكاني دوماً أن أستدعي الشرطة».

ـ نعم، بإمكانك. لكنني لا أظنك ستفعلين. على أيّ حال، لدى الشرطة، انشغالات أهم بكثير مما لا شك يعتبرونه مشكلة بيتية تافهة.

في المناوشات الماضية، كان أسرع بديهة منها، وهو الرابح دوماً في كل معركة كلامية. لكنها لن تتركه يربح هذه المرة، فقالت وهي تصرف بأسنانها: «هذه ليست مشكلة بيتية تافهة. إنه دخول غير شرعي إلى منزل شخص آخر».

ـ وكيف يكون(دخول غير شرعي) وقد فتحت لي الباب بنفسك؟

ـ ظننت أنّ القادم هو نادل المطعم.

نظر إلى كيس النقود في يدها، وقال: «فهمت. حسناً، إذا طلبت عشاءً، فربما ستدعينني للمشاركة فيه».

صرخت به وقد ازداد غضبها: «لا، لا أريدك أن تبقى. ولا أدري لماذا جئت أصلاً».

ـ جئت أولاً، لأننا لم ننه حديثنا. . .

ـ ما من كلام يُقال. أنا لن أعود إليك أبداً. وأنت تضيع وقتك وحسب.

استمر يقول بصوت هادىء خطير وكأنها لم تقاطعه: «وثانياً، لن أدعك تهربين مني».

لأول مرة، أدركت أنه غاضب للغاية، فتملكها الخوف.

تقدم نحوها، فبدت إلى جانبه أقصر مما هي في الواقع بطولها البالغ مئة وسبعة وستين سنتيمتراً. وضع يده تحت ذقنها ليرفعها، وعيناه مسمرتان على وجهها وفي وجهه الأسمر حدّة وتصميم. وإذ تكهنت بما يريد، توسّلت إليه قائلة: «لا! آه، أرجوك رايان. لا

تفعل. . ».

لكن يده اشتبكت بشعرها الحريري، ثم عانقها خانقاً أي احتجاج.

كيس النقود الذي كانت متشبثة به كحبل نجاة سقط على الأرض، ورغم كل جهودها للابتعاد عنه، راح الدم يتدفق بعنف إلى أذنيها، ودارت الدنيا من حولها.

دار رأسها وتضاربت مشاعرها وتنبّه كل عصب فيها. . . وبدل أن يكون عناقه عقاباً، راح يرسل في كيانها مشاعر الإثارة.

إنه يجعلها الآن تشعر بكل ما يريدها أن تشعر به. واعتبر تجاوبها، دلالة على انتصاره. أما هي فبدت ضائعة مخبولة عندما دُق جرس الباب.

سبق وعي رايان وعي فرجينيا، فقادها برفق إلى المطبخ.

آه رباه، يا لي من حمقاء! أخذت تعنّف نفسها، فقد صممت على أن توقفه عند حدّه. . . أن توضح له أنها لم تعد واقعة تحت سحره.

وبدلاً من ذلك، لا بد أن شعورها بالضعف أمامه زاد من ثقته بنفسه، وجعله واثقاً من نجاحه. . .

وهذا ما لا ينبغي له. عليها ألاّ تدعه ينجح.

رغم اضطرابها النفسي، انتبهت إلى فتح الباب الخارجي وصوت رايان يقول: «شكراً، كم تريد مني؟».

وعندما عاد إلى المطبخ حاملاً كيساً ملّوناً كانت قد استجمعت بقايا شجاعتها. فوقفت أمامه بثبات: «أريدك أن تخرج. الآن، في هذه الدقيقة».

فقال بليونة: «يبدو أنك طلبت طعاماً يكفي لاثنين، لذا من المخجل أن نضيّعه سدى».

بدت مذهولة من كثرة الطعام، وأدركت أن تكرارها للكلمات جعلهم يحضرون طعاماً كثيراً.

www.elromancia.com

قال ساخراً وهو يراقب وجهها: «هل هذه زلّة لسان؟ هل كنت، في عقلك الباطن، تريدين أو تتوقعين حضوري؟».

ـ لا. على الإطلاق. لو أردت أحداً هنا، لكان تشارلز.

أدركت من توتر فم رايان أن جوابها أغاظه.

قد يصرّ على البقاء، لكن هذا لا يعني أنها مستعدة للاحتفاء به.

أخذ يفتح الأغطية وهو يقول: «لماذا لا تجلسين إلى المائدة وتخبرينني بأي نوع تريدين أن تبدئي؟».

فقالت وهي لا تزال واقفة: «لا أريد أن آكل. لقد فقدت شهيتي».

فرفع حاجبيه: «هذا مؤسف. ومع ذلك، هل أنت واثقة تماماً من أنك لن تأكلي؟».

نبهتها نبرة التهديد الخطرة في صوته، والتألق في عينيه، فتلاشت كل رغبة في القتال لديها، وجلست فجأة، بينما ضحك هو فبدت أسنانه البيضاء: «لا؟ آه... حسناً..».

وجلس أمامها وسألها: «ماذا تريدين إذن؟ القريدس بالسمسم مع الخبز المحمص يبدو لذيذاً».

كان قميصه الحريري الداكن مفتوحاً عند العنق مظهراً عنقه القوي. وتذكرت كيف كانت تدفن وجهها أحياناً في عنقه فجفّ ريقها.

رفعت بصرها فتلاقت عيناها بنظراته الساخرة، وشعرت بالاحمرار يكسو وجنتيها.

قال مظهراً البراءة: «يبدو أنك تشعرين بالحر. هل لديك مرطبات باردة؟».

وبشكل ما، استطاعت أن تقول: «هناك زجاجة مفتوحة في البرّاد».

ملأ كأسين، ثم التقط قطعة دجاج بالشوكة، ومدّها إليها عبر المائدة، ففتحت فمها دون وعي منها.

حركته هذه كانت أشبه بصدمة عصبية قطعت أنفاسها وجعلت قلبها يخفق بشكل غريب.

عندما تناولا الطعام لأول مرة معاً، أخبرته أنها طلبت هذا النوع من الدجاج لأنها شغوفة بالدجاج بالكاجو.

وكعادة العشاق، أطعمها الكاجو من صحنه. وبعد ذلك أصبح هذا طقساً من طقوس الحنان بينهما.

لكن ذلك، كان مجرد تمثيل. ربما رغب فيها، لكنه لم يحبها في الحقيقة، لم يشعر نحوها بحنان حقيقي مطلقاً. كان يريد فقط أن يستغلها. لكنها رفضت هذا الاستغلال، رغم أن هجرها له حطم قلبها...

وكأنما تابع مجرى أفكارها، فقد قال فجأة: «لم تخبريني بعد لماذا هربت مني».

ـ من المفروض أن تعلم.

ـ إذا كان الأمر ما أفترضه...

فانفجرت تقول: «هل ظننتني لن أمانع؟ ظننت أنني سأدعك تستغلني من دون أن أقول شيئاً؟».

قطب جبينه: «ليس لديّ أدنى فكرة عما تتحدثين عنه. من الأفضل أن تفسري كلامك».

قفزت واقفة وقد ثار غضبها لإنكاره: «ليس في نيتي أن أفسر أيّ شيء. أريدك أن ترحل، وإلا سأرحل أنا!».

وعندما همّت بأن تبتعد، قال بهدوء: «اجلسي وأنهي طعامك».

وتشابكت نظراتهما.

أرادت أن تعصى أمره، وتذهب. لكنها لم تستطع المغادرة. وهكذا وجدت نفسها تجلس على كرسيها مستكينة. وبعد لحظة، سألها برقة: «لماذا لم تطمئنيني على الأقل، إلى أنك بخير؟».

ـ ولماذا تريد ذلك؟

ـ حاولت ألا أفكر فيك على الإطلاق.

ـ وماذا بالنسبة إلى بقية الأسرة؟

وعندما لم تجب، تابع يقول: «تكدروا جميعاً وقلقوا لرحيلك من دون كلمة، خاصة «بيث»».

ـ أنا آسفة لذلك. فقد أحببت زوجة أبيك.

في الواقع، أحبت الأسرة كلها بإستثناء شخص واحد.

فعاد يقول بفتور: «أصابتها نوبة قلبية أخرى».

وحبست فرجينيا أنفاسها. وإذ رأى التوجس على وجهها، تابع يقول بسرعة: «كانت نوبة بسيطة والحمد لله».

ـ إنها إذن بخير؟

ـ وشفيت تماماً لحسن الحظ.

ـ أتعني أنها لو لم تشفَ لحملتني المسؤولية؟

ـ أنا أحملك المسؤولية فعلاً.

أجفلت فرجينيا لسخرية القدر المرة هذه. فالسبب الرئيسي لهربها بذلك الشكل، هو المحافظة على صحة زوجة أبيه الضعيفة.

ـ وماذا عن جانيس وستيفن؟

ـ ما رأيك؟

غاص قلبها. ومع ذلك، فكرت أنه من الأفضل أن يلوماها هي، وهي الغريبة نسبياً، من أن يعلموا شيئاً يمزق علاقتهم العائلية المتينة.

كان جزء منها يتساءل غير مصدق، كيف استطاع رايان أن يفعل ما فعله. لكن لعله لم يستطع منع نفسه. فللحب سطوة قوية، يمكنها أن تتغلب على كل شيء... وكذلك الرغبة في الانتقام. لكن رغم أنه أخطأ بحقها أكثر مما أخطأت هي بحقه إلا أنها حطمت كل خططه التي وضعها بعناية، كما جعلته يبدو أحمق، في نظر نفسه على الأقل.

وهذا أمر لا ينساه رجل مثله بسهولة.

ارتجفت فسألها: «أواثقة من أنك لا تشعرين بالبرد؟».

ـ لا.

ـ خجلى من نفسك؟

ـ ولماذا أخجل من نفسي؟

ـ أعرف أسباب عدة، الأول، وهو الأهم، أنك عاملت امرأة كانت قد أحبتك من صميم قلبها، بتلك الطريقة القاسية...

ربما كان عليها حينذاك، أن تترك لهم ورقة تختلق فيها سبباً لرحيلها... لكنها، لشدة صدمتها، لم تعرف ماذا تفعل.

ـ آسفة إذا بدا الأمر كذلك. لم أقصد إيذاءها قط...

قطع كلامها رنين حاد فمدّ يده إلى جيب سترته يخرج هاتفه الخلوي: «فالكونر... أصحيح؟ هذا حسن... نعم... نعم... نعم... سأكون معك حالاً».

أعاد الهاتف إلى جيبه ثم نهض واقفاً وارتدى سترته: «آسف. عليّ أن أرحل بسرعة».

فقالت بلهجة لاذعة: «آسفة لأنني لا أستطيع أن أقول لك الشيء نفسه».

انتقاماً منها لقولها الشرير هذا، دار حول المائدة وأمسك بها يعانقها. ثم ابتسم قليلاً وقال: «عندما تكونين وحدك في سريرك الليلة، يمكنك أن تحلمي بي».

فأجابت بعنف: «لا، سأمنع نفسي من ذلك».

ـ ربما تحلمين بي بالرغم منك.

ـ لست مشتاقة إليك.

ابتسم وهو يثبت نظره عليها: «لطالما كنت متجاوبة معي».

لم تعد قادرة على تحمّل المزيد، فقفزت مبتعدة عنه وقالت: «ألم

www.elromancia.com

يغب عن بالك أمر ما؟ أم ينبغي أن أقول شخص ما؟ قد لا يكون تشارلز شاباً بمقياسك، لكنه مناسب لي».

رأت شفتيه تتوتران، وسرّها غضبه فضحكت. فقال يحذرها بنعومة: «إياك حتى أن تفكري في ذلك. من الآن وصاعداً سأكون أنا الرجل الوحيد في حياتك. إذا فكّر رينور بالتقرب منك، فعليك أن ترفضي، وأنا أعني ذلك».

وشدّها إليه يعانقها مرة أخرى. هذه المرة، جاء عناقه عنيفاً فهزها من الأعماق، ثم حرّرها فجأة وقال ساخراً: «سأراك فيما بعد».

وما هي إلاّ لحظة، حتى سمعت الباب الخارجي يصفق. سارت إلى الردهة وهي ترتجف، عاجزة عن تثبيت ساقيها.

كان رايان قد رحل. لكنها لاحظت، بذهن شارد، أن كيس نقودها وُضع بجانب الهاتف.

جلست على آخر درجة من السلم وهي ترتجف، وأخذت تحدّق إلى الفراغ مفكرة. رباه، ماذا عليها أن تفعل؟ زيارة رايان غير المرغوب فيها أثبتت أمرين مفزعين، الأول هو أنه جاد للغاية، والثاني أنها لا تملك القدرة على مقاومته.

منذ البداية كان الوضع على هذا النحو. رأته فأحبته، روحاً وجسداً. وإذ أدركت بغريزتها أنه الرجل الذي انتظرته طوال حياتها، استسلمت لحبه سعيدة واثقة، راجية السعادة معه بقية الحياة.

لكن بقية الحياة تلك كانت قصيرة. شهران فقط بين البداية البهيجة والنهاية المرّة. . .

والآن، سيبدأ عذابها من جديد، ألاّ إذا وجدت طريقة تبعد بها رايان عنها.

ستبقى المرأة الأخرى دوماً بينهما. حتى وإن كان شعوره نحوها قد مات، فهي لن تحتمل هذا الوضع.

وبالرغم من قوله إنه لا يريد سواها، إلاّ أنها أدركت أنها لا يمكن أن تصدّقه أو تثق به مرة أخرى. ويجب أن يعلم هذا. . . ولعله يتعمّد أن يجعلها تشعر بالغيرة، كجزء من انتقامه منها. . .

لا، لا. . . لا تستطيع، وهي لا تبغي العودة إليه.

لكن، حتى ولو حاولت أن تقنع نفسها بذلك، فهي تدرك أنها، مثل الفراشة، عاجزة عن منع نفسها من الانجذاب نحو لهب الشمعة، غير قادرة على المقاومة.

* * *

www.elromancia.com

٣ ـ حبل النجاة

صرفت بأسنانها، محاولة أن تنبذ تلك الصورة المخيفة. عليها أن تدبر أمرها. . . أن تجد طريقة تتوقف بها عن حبها لرايان.

لو استطاعت فقط أن تحب تشارلز بما يكفي لتتزوجه. . . لكن المشكلة ليست أنها لا تحب تشارلز، بل أنها ما زالت تحب رايان.

أما كيف يمكنها الاستمرار في حب رجل يكرهها، رجل يريد فقط أن يؤذيها، فهذا جنون خالص. هذا النوع من الحب المدمر للذات يمكنه أن يحطم حياتها كلها، ولن يبقى لها سوى مستقبل فارغ.

بالنسبة إليها، الحب والاخلاص رفيقان لا ينفصلان. وهي لا تؤمن بالعلاقات العابرة. والزواج من تشارلي، الرجل الذي تشعر نحوه ببالغ المودة والاحترام هو الحل الأمثل لها. عندئذ ستصبح آمنة، كما يمكن أن ترزق بأطفال وتعيش حياة عائلية سعيدة.

أما بالنسبة إلى تحفظها واعتبارها أن ذلك لن يكون منصفاً له. حسناً، لقد أطلعته على شعورها نحوه بكل صدق، فقال إنه لا يرى مشكلة في ذلك. . .

ما المانع إذن؟ تفتقر العلاقة إلى عواطف محمومة من ناحيتها على الأقل، ولكن إذا كان بإمكانها أن تجعله سعيداً. . .

نبهتها دقات الساعة فنهضت وعادت إلى المطبخ لتغسل الأطباق

مصممة على التفكير في مستقبل تتصوره أسعد من ماضيها التعيس.

كانت قد فرغت لتوها ووضعت إبريق القهوة على النار، عندما سمعت صوت مفتاح تشارلز يدور في القفل.

أسرعت إلى الردهة وابتسمت له: «لقد عدت باكراً».

سمع نبرة الارتياح في صوتها، فسرّه أن يكون قد عاد مباشرة. وسألته: «كيف سار موعدك؟».

ـ بأحسن حال.

ـ هذا حسن.

أحس في صوتها شروداً، وكأن ذهنها مشغول بأشياء أخرى.

تأمل وجهه الشاحب المنهك، ثم سألها بلطف: «هل مازال الصداع يزعجك؟».

ـ كلا. فقد أخذت دواءً حال مجيئي إلى البيت.

كان شعرها المجعد منسدلاً على كتفيها، فبدت له جميلة أكثر من أي وقت آخر. كما بدت محفوفة بالخطر. ثمة شيء حدث فكدرها بشكل جاد.

تساءل عما إذا كانت تريد أن تتحدث عن ذلك أو أنها تفضل أن يدعها وشأنها، فسألها محاذراً: «أتفكرين في النوم باكراً الليلة؟».

هزت رأسها: «لا أشعر بالنعاس».

ـ إذا كنت لا تريدين النوم، فلماذا لا تشربين القهوة معي؟

ـ نعم، سأشرب. ثمة أمر أريد أن أخبرك به.

وحملت صينية القهوة إلى غرفة الجلوس.

سكبت له فنجاناً ووضعت فيه السكر والقشدة، ثم ناولته إياه. فقال هازلاً: «شكراً، لا أدري ما الذي فعلته لأستحق أن ينتظرني أحد عند عودتي».

www.elromancia.com

منعها التوتر من الجلوس بهدوء، فتركت فنجانها من دون أن تمسه ثم سارت إلى النافذة حيث وقفت تنظر من خلالها.

حانت الآن اللحظة الحاسمة. لكنها لا تعرف كيف تتطرق إلى الموضوع.

أخذ ينظر إليها، وتكهن بما تشعر به من صعوبة، فسألها: «ما الذي تريدين أن تخبريني به؟».

مازالت مترددة. لعله غيّر رأيه بالنسبة إلى الزواج، واعتبر طلبه مجرد غلطة لا غير.

حسناً، ثمة طريقة واحدة لمعرفة ذلك. استدارت إليه وقالت: «عندما عرضت عليّ أن أتزوجك، قلت لي إنني إذا غيرت رأيي يوما ما، فالعرض سيبقى قائماً. .».

مضت لحظات قبل أن يجيب مؤكداً: «هذا صحيح».

تنفست فرجينيا الصعداء، وامتلأت عينا تشارلز بالأمل، وسألها بلهفة: «هل غيّرت رأيك؟».

ـ نعم. وسأتزوجك إذا كنت لا تزال تريد ذلك.

قفز واقفاً واحتضنها بلهفة: «صدقيني، لم أتمنى في حياتي قط شيئاً أكثر مما تمنيت ذلك».

احتضنها بشدة، لكنه عاد وتركها ليسألها: «ما الذي جعلك تغيرين رأيك؟».

ـ حسناً. . . لقد فكرت. . . أنا أريد زوجاً وبيتاً وأسرة. . . أتريد أنت أطفالاً؟

سألته ذلك بشيء من القلق، فأجاب بصدق: «لم أفكر في ذلك قط. لكن إذا كان ذلك يجعلك سعيدة. . . كم ولداً تريدين؟».

ـ أريد اثنين على الأقل. وربما ثلاثة أو أربعة. تشارلز هل أنت واثق من أن هذا ما تريده؟ أعني زوجة وأسرة؟

ـ لكنني لم أعد شاباً، لذا متى ستتزوجينني؟

ـ بالسرعة التي تريدها.

ـ كيف تريدين عرسك؟

ـ أريده هادئاً.

ـ ألا تريدين ثوباً أبيض بكل ملحقاته؟

ارتجف قلبها لذكر ثوب العروس الأبيض وكأنه ذكّرها بأمور جاهدت لكي تنساها. حاولت الابتسام في وجهه، إلا أن تشارلز بحساسيته البالغة أدرك أن هناك ما يزعجها. أحست فرجينيا أنّ عليها أن تخبره بالحقيقة، فقالت بفتور: «سبق أن بدأت التحضير لزفاف. . . لكن أمور حصلت وجعلت مشروع الزواج يفشل. آسفة إذا كان هذا يزعجك».

فقال لها بهدوء: «هل كان رجلاً مميزاً، أعني هل أحببته كثيراً؟».

ـ نعم.

اعتصر قلبه فالعلاقات العابرة لا تعني شيئاً في الحقيقة. لكن وجود شخص مميز في حياتها، أمر آخر.

وتذكر تشارلز ردة فعل فرجينيا على وصول الرجل الأسمر ذي المظهر القوي، إلى المعرض. فقال: «كان رايان فالكونر، أليس كذلك؟».

أومأت برأسها وهي تبلل شفتيها. قادها إلى الأريكة، وعندما غاصت بين الوسائد جلس على كرسي بجانبها: «أظن أنه من الأفضل أن تخبريني عنه».

آخر رجل أرادت التحدث عنه في تلك اللحظة هو رايان. ولكم تمنّت إرجاء ذلك الحديث، فقالت متلعثمة: «أنا. . . أنا لا أدري كيف أبدأ».

وإذ رأت أن لا مناص من ذلك، استجمعت شجاعتها، ثم قالت:

www.elromancia.com

«تعارفنا منذ ثلاث سنوات. كنت قد تركت كلية الفنون وحصلت على وظيفة في معرض ترانتور للفنون. دخل ذات صباح رجل...».

ودّت أن تخبره بما يهمه فقط من تلك القصة، فإذا بالذكريات تتفجر مفصّلة، وتكشف عن الماضي وكأنه لا يزال حياً.

***

كان الوقت قرابة الظهر، والمعرض هادئاً.

كانت فرجينيا جالسة وراء مكتب الاستقبال، تتفحص محتويات كتيّب، عندما انفتح الباب الزجاجي ودخل ذلك الرجل.

كان طويلاً، متين البنية، ذا شعر أسود كثّاً مجعّداً قليلاً. عندما اقترب منها، رأته في أوائل الثلاثينات من عمره، بوجه خشن يفيض بالرجولة، وملامح قوية، وفم رائع الجمال. كان أكثر الرجال الذين عرفتهم جاذبية، بل كان أكثر من مجرد جذاب، إنه بالغ الروعة.

ـ الآنسة آدامز؟

ابتسمت لها عينان مذهلتان فاستحال على فرجينيا عدم التحديق فيهما وقد جف فمها وتسارعت خفقات قلبها. سألته متلعثمة: «نع... نعم؟».

ـ اسمي رايان فالكونر، وأنا من معارف والديك.

فقالت بغباء: «إنهما يعيشان في نيويورك».

تألقت أسنانه البيضاء بابتسامة: «نعم، أعلم هذا. تناولت الغداء معهما منذ يومين. وأخبراني أين أجدك».

كان صوته عذباً، دافئاً فيه بحة، ونبرته الأميركية غير ظاهرة: «هناك أمر أحب أن أتباحث معك بشأنه. لذا، قد تسمحين لي بأن أدعوك إلى الغداء!».

امتزجت في نفسها الإثارة بخيبة الأمل، فقالت: «لقد تناولت كوباً

من اللبن لتويّ..».

فقال ساخراً بلطف: «حسناً، إذا كان اللبن هو كل ما يمكنك تناوله..».

ارتبكت لسخريته، وقالت تشرح له الأمر: «كما ترى ما من أحد يأخذ مكاني، ولا أستطيع أن أتغيب لأكثر من عشر دقائق».

نظر في أنحاء المعرض: «من غير الممكن أن تكوني هنا وحدك».

ـ آه، لا. السيد والسيدة ترانتور في المكتب.

ـ سأتكلم معهما.

فقالت بسرعة: «من الأفضل ألاّ تفعل».

فرفع حاجبه الأسود: «ألا تريدين حقاً أن تتناولي الغداء معي؟».

ـ ليس ذاك. لكنني لا أظنهما يوافقان على خروجي...

ـ آه، أظنهما قد يوافقان...

تذكرت الإيجار الباهظ الذي يتوجب عليها أن تدفعه من أجل شقتها فتوسلت إليه: «أرجوك يا سيد فالكونر، استلمت لتوّي شقة، ولا يمكنني أن أتحمل خسارة وظيفتي..».

ـ قولي رايان، أرجوك! اطمئني فلن تخسري وظيفتك أبداً.

وقبل أن تعود إلى الاحتجاج، تقدم من باب المكتب وقرعه، ثم دخل إليه وكأنه ملكه. وما لبث أن عاد بسرعة بصحبة السيدة ترانتور.

ذهلت فرجينيا وهي ترى المرأة، التي يلقّبونها باسم (التنين)، تبتسم.

ـ لا مانع لدي، يا سيد فالكونر، ويسعدني أن أهتم بمكتب الاستقبال بنفسي. اذهبي، يا آنسة آدامز.

أسرعت فرجينيا، وهي تتلعثم بالشكر، لتحضر سترتها وحقيبة يدها، متوقفة قليلاً لتمشط شعرها الجعد. وبعد دقائق خرجت معه.

كان ذلك في أوائل تشرين الأول، وكان الطقس بارداً وجافاً،

www.elromancia.com

والشمس تلطف ألوان الخريف.

قال رايان بلهجة عفوية: «ما رأيك في الذهاب إلى مطعم (بنتاغرام)؟».

لكن فرجينيا التي كانت تسير فوق السحاب برفقة هذا الغريب الساحر، لم تكن لتهتم حتى لو ذهبا إلى دكان لبيع الشطائر.

قالت بشيء من الخجل: «لا أدري إن كانت ملابسي مناسبة».

نظر إلى طقمها البني وبلوزتها التبنية اللون وقال: «تبدين ممتازة في نظري».

بعد أن سارا مسافة قصيرة، اقتربت منهما سيارة ليموزين، نزل منها السائق، وفتح لهما الباب.

صعدت فرجينيا إلى السيارة شاعرة بأنها سندريلا عصرية. وبعد لحظة، ابتعدت السيارة الفخمة عن المنعطف لتسير في زحمة الشارع.

التفت رايان إليها باسماً. كانت ابتسامة خفق لها قلبها وانحبست أنفاسها.

كان قريباً منها إلى حد شعرت معه بالدوار كما لو أنها جالسة على حافة هاوية. ومع ذلك، ازدادت قوة الملاحظة لديها فانتبهت لطول أهدابه وجمال أذنيه، والخط الواضح في ذقنه وسواد شعره، والغضون الخفيفة حول فمه التي كانت تعمق عندما يبتسم...

وإذ انتبهت إلى أنها تحدّق إليه كالمنوّمة مغناطيسياً حوّلت نظراتها عنه شاعرة بالخجل.

التوت شفتاه، فقالت ببرودة بعد أن شعرت أنه تكهّن بشعورها تماماً: «قلت إن ثمة ما تريد أن تناقشه معي».

ـ هذا صحيح. ولكن بعد الغداء.

ـ لا أدري إذا كان الوقت كافياً، يا سيد فالكونر، لكي..

فقاطعها مصراً: «ادعيني رايان. ولا تقلقي، لدينا الكثير من

الوقت. السيدة ترانتور منحتك عطلة لبقية النهار».

قالت ذاهلة: «عطلة لبقية النهار؟ وكيف أمكنك أن تقنعها بذلك؟».

كشّر بأسى هازلاً: «يمكنك أن تعتبري ذلك نتيجة ظرف بالغ».

تذكرت وجه السيدة ترانتور فقالت: «أنا واثقة من أن للظرف دوراً في ذلك».

ـ إن لهم مصلحة معي. كل ما فعلته هو أني ذكرت أنني أريد أن أبتاع لوحات (جوناثان كاس).

طرفت فرجينيا بعينيها. إذا كان ينوي أن يشتري إحدى لوحات جوناثان كاس، فهذا يدل على أنه يستطيع أن يدفع مليوناً أو مليونين، وأنه ذوّاقة في الفنون أيضاً.

ـ أنت إذن من عشاق الفن؟

فكّر قليلاً، ثم أجاب: «رجل أعمال على الأغلب. لكن بما أنني أهتم بالفن، فأنا أشتري كل ما يعود عليّ بنفع. ولكني لا أبتاع سوى ما يعجبني لمجموعتي الخاصة».

ـ وهل أعمال كاس... ؟

ـ إنها لمجموعتي الخاصة. رغم أني قد أعلّقها في المعرض لفترة لجلب الاهتمام.

ـ هل لديك معرض؟

ـ نعم، في شارع ماديسون. وهذا هو سبب معرفتي بوالديك. لكن أخبريني، يا فرجينيا... هل بإمكاني أن أدعوك فرجينيا؟

ـ طبعاً.

ـ لماذا لم تخبري آل ترانتور أن والديك هما براد ومايا آدامز؟

سألته بسرعة: «وكيف عرفت أنني لم أخبرهما؟».

ـ هذا واضح تماماً. لو علما، لما عاملاك وكأنك مجرد موظفة

www.elromancia.com

استقبال.

ـ لسوء الحظ، أنا كذلك حالياً.

ـ منذ متى تعملين في المعرض؟

ـ منذ أربعة أشهر تقريباً.

فقطب جبينه: «ولماذا تقبلين بهذا الوضع؟ لم تمضي تلك السنوات في الكلية لكي تجلسي خلف مكتب استقبال وتجيبي عن أسئلة تافهة».

ـ هذا صحيح. لكن الوظيفة في عالم الفن لا تأتي بسهولة.

ـ إذا علم الجميع هوية والديك، فستفتح في وجهك الأبواب.

هزت رأسها بعناد: «إذا لم يكن لديّ موهبة مبدعة، فإن هوية أبويّ لا تشكل فرقاً».

رأت في عينيه مزيجاً من الإعجاب والاحترام قبل أن يقول: «أتعلمين؟ أنت فتاة غير عادية حقاً. أكثر الناس يستعملون كل الحيل لكي يستفيدوا... لكنني، من ناحية أخرى، لم أتوقع أن تكوني كمعظم الناس ووالداك موهوبان».

وسكت فجأة ثم أضاف بحزم: «وأنا لا أعني ذلك بالشكل الذي تظنينه».

فقالت بجفاء: «وما الذي تعنيه إذن؟».

التفت إليها بعينيه المذهلتين، ما جعل قلبها يخفق بقوة، قبل أن يتابع: «أتصور أنّ تربيتك لم تكن سهلة مع أبوين يشغل الفن حياتهما».

ومن دون أن ينتظر جواباً، تابع يقول: «أظنك كنت طفلة وحيدة، ولا بد أنك شعرت غالباً أنك وحيدة مهجورة».

ـ نعم، كنت أشعر بذلك.

اعترفت بذلك، ثم وجدت نفسها تخبره بشيء لم تخبر به أحد من قبل: «كان لديّ كل ما أحتاجه من الناحية المادية، لكن لم يكن لديهما

وقت يخصصانه لي، لم يجلسني أيّ منهما قط على ركبتيه أو يحتضنني».

ـ أظن أن الناس الذين يعيشون من أجل الفن، أو الذين يشغلهم أمر آخر، يميلون إلى عدم الاهتمام بأولادهم.

ـ يبدو وكأنك تتكلم من خلال خبرة شخصية.

فابتسم ساخراً: «أظننا من نوع واحد. ورغم أنه كان لدي كل ما يستطيع المال أن يشتريه، كل ما عرفته عن الحب هو كيف أعيش من دونه».

أدركت شعوره حينذاك، فتلهف قلبها إلى ذلك الطفل التعيس المهجور.

عندما رأى العطف في وجهها، أمسك بيدها يشدّ عليها، جاعلاً خفقات قلبها تتسارع، قبل أن يتابع: «كان اهتمام أبي الرئيسي ينصبّ على السياسة وكسب المال. وكنت نادراً ما أراه. وما كان ليهمني كثيراً لو أن أمي خصصت وقتها لي، لكنها كانت هي أيضاً مولعة بالسياسة. وعندما منحت أبي، رغماً عنها، الوريث الذي يريده، سلّماني للمربيات، وفي ما بعد، لعدد من المعلمين...».

تملكها إحساس غريب وهي تنظر إلى وجهه وتصغي إليه. إنها تعرف هذا الرجل وكأن روحه تعكس روحها... إنها مجرد تخيّلات، كما أخذت تحدّث نفسها بحزم، إلاّ أنّ شعورها بأنه نصفها الآخر بقي يلح عليها.

ـ كنت في العاشرة تقريباً حين قتلت أمي في حادث اصطدام. لم أكن أراها إلا نادراً حتى أنني، بعد أشهر عدة، لم أعد أذكر شكلها. ولم أعرف معنى الرعاية والحنان الحقيقي إلا بعد أن تزوج أبي ثانية. وكانت بيث أرملة إنكليزية لديها صبي صغير وطفلة من زواج سابق. أحبتني من كل قلبها ومنحتني الحب الذي كان ينقصني حتى ذلك

www.elromancia.com

الحين. . . آه، ها قد وصلنا!!!

وقفت بهما السيارة في شارع هادىء، تحف به الأشجار، أمام مبنى جميل بدا أشبه بمنزل خاص منه بمطعم.

قال وهو يساعدها على النزول: «آسف».

فأجابت بحيرة: «الماذا؟».

ـ كان في نيتي أن نتحدث عنك، بدلاً من أن أضجرك بأخباري.

ـ إما أنك حسنة السلوك جداً، وإما دبلوماسية. سأتمكن من الحكم عليك عندما أعرفك أكثر.

قوله إنه ينوي أن يعرفها أكثر، جعلها تسير فوق السحاب.

ـ سيد فالكونر. . . ما أجمل أن نراك مرة أخرى.

ـ يسرني أن أراك، يا مايكل.

ـ هل أنت هنا لمدة طويلة؟

ـ لعدة أيام.

وارتفع صوت نداء هادىء، فقال المدير: «إنهم يريدونني، أرجو المعذرة. سيرافقكما ألفونس إلى مائدتكما».

برز النادل فجأة، فقادهما إلى قاعة طعام تغطي أرضها سجادة سميكة، وتزينها زخارف باللونين الذهبي والقرمزي.

كانت مائدتهما مغطاة بشرشف مطرزة، وقائمة قرب نافذة مستطيلة.

حالما جلست فرجينيا، اختفى رئيس الندل وجاء بدلاً منه نادل شاب بصينية فضية عليها كأسان من العصير. قال رايان بما يشبه الهمس:

ـ كل ما يقدمونه هنا هو من أرقى الأصناف. لكن لا يحق لك الاختيار.

ـ أتعني أنك لا تعلم ما ستحصل عليه إلا بعد أن يصل الطلب

إليك؟

فقال هازلاً: «نعم، إلا إذا سألت أو استرقت النظر إلى المائدة المجاورة، وهذا مرفوض».

كانت فرجينيا واثقة من أنه يسخر منها، إلاّ أنها قالت بهدوء: «حسناً، لا أرى هنا الكثير مما لا يعجبني. .».

ـ تعجبني المرأة التي تتمتع بروح المغامرة.

ـ إلا الرخويّات البحرية.

التمعت عيناه السوداوان: «الرخويّات هي من اختصاص هذا المكان».

قاومت رجفة تملكتها، فسألها بإخلاص: «أرجو ألاّ أكون قد وترت أعصابك؟».

فردت كاذبة: «أبداً».

ثم أضافت: «في أسوأ الأحوال، لن آكله».

ـ لا يمكنك ذلك إذا شئت أن تخرجي من هنا حية.

تأكدت الآن من أنه يسخر منها، فابتسمت تلك الابتسامة الجميلة التي تظهر أسنانها البيضاء والغمازتين حول فمها، وتجعل عينيها الخضراوين تتراقصان.

قال رايان برقة: «أنت ساحرة جداً عندما تبتسمين».

وعندما رأى الاحمرار يكسو وجنتيها، قال: «ظننت أن هذا زال مع العهد الفيكتوري».

ـ ما هو الذي زال مع العهد الفيكتوري؟

بدت على شفتيه إبتسامة تسلية صغيرة وهو يقول: «إحمرار الوجه خجلاً لسماع تعليق ما. أجد ذلك. . . منعشاً للغاية».

ازعجتها ابتسامته تلك وقالت بحدة: «أتعني أنك تجده(مسلياً)؟».

قال رافضاً أن تسكته لهجتها الحادة: «وهذا أيضاً، ولكن بطريقة

حسنة جداً».

ـ حمرة الخجل هو كل ما يصدر عني، فلا تتوقع مني أن أصاب بالهستيريا أو أصرخ عندما أرى فأراً.

فقال هازلاً: «إذا رأيت فأراً هنا الآن فأنا الذي سيصرخ».

حدقت إليه غير مصدّقة، فقال: «هذا يسيء إلى سمعة المطعم، وبما أن لدي حصة فيه . . ».

ـ حصة فيه؟ ظننتك تسكن في نيويورك؟

ـ صحيح، ولكن بما أنني مستثمر عالمي، فإن لدي أسهماً في الكثير من المشاريع.

وعندما انتهى من الحديث،وصلت فطيرة الطعام البحري .

فسألها: «لا بأس في هذا؟».

ـ إنه ممتاز، شكراً.

أجابته بأدب لكنها سرعان ما أدركت أن الطعام أكثر من مجرد ممتاز، فهو لذيذ للغاية.

لم يتكلم أي منهما أثناء الطعام، لكن عينيّ رايان كانتا تجولان غالباً على وجهها أكثر منهما على طبق الطعام.

عندما نظرت إليه مستفهمة، قال: «أنت أول امرأة أحضرها إلى هنا ولا تثرثر دون انقطاع أثناء تناول الطعام».

تساءلت عما إذا كان يجدها مرافقة فاترة بطيئة الفهم لكنه تابع يقول: «من هو الذي دعا زوجته (الصمت الرحيم)؟».

ـ لا أدري.

شعرت بشيء من الزهو والسرور لكلماته. ورغم أنهما تعارفا لتوّهما، إلا أن إستحسانه لها كان يعني لها الكثير.

سألها وهو يمد ساقيه الطويلتين: «أخبريني يا فرجينيا. هل ذهبت قط إلى نيويورك؟».

ـ لا، لكنني لطالما تمنيت ذلك.

أومأ وكأن جوابها سرّه، قبل أن يسألها: «ما رأيك في العمل هناك؟».

ـ أحب هذا كثيراً، ولكن . . . . .

ثم سألته غير واثقة: «أتراك تقدم لي وظيفة هناك؟».

ـ ألا تريدين واحدة؟

فقالت بارتياب مفاجىء: «هذا يعتمد على سبب تقديمك الوظيفة».

ـ تظنين أن للأمر علاقة بوالديك؟

ـ أليس الأمر كذلك؟

ـ سبق أن قلت بنفسك(شخصية أبويّ يجب ألاّ تشكل أي فرق، إنما فقط ما تعلمته وما أنا قادرة على القيام به). وأنا موافق على هذا.

وأضاف مقطباً: «هل تعتقدين حقاً أنّ هوية والديك تهمّني مقدار ذرّة؟».

قالت شاعرة بأنها حمقاء: «من المفترض أنهما تحدثا عني، وإلا لما علمت بوجودي قط».

ـ أنا لا أنكر أننا تحدثنا عنك.

ـ لا أتخيّل السبب. فقد مضى أكثر من ثلاثة أشهر منذ وردني منهما خبر.

ـ بدا عليهما الزهو البالغ بما أنجزته. وقد فهمت أنك حصلت على جائزة خاصة.

ـ نعم.

ـ من أجل ماذا بالضبط؟

ـ كان المطلوب إقامة معرض لفنان مجهول انطلاقاً من الصفر.

ـ وهل استمتعت بذلك العمل؟

ـ إلى درجة كبيرة.

ـ ألا تحبين أن تقومي بالعمل نفسه؟

سألته بحذر، محاولة أن تكبت حماستها: «هل هذه هي الوظيفة التي تعرضها عليّ؟».

ـ نعم.

ـ لماذا؟

ـ لأن مساعدتي الآنسة كالفيلد سترحل لتتزوج.

ـ لماذا اخترتني أنا؟ لا بد أن هناك الكثير ممن هم أكثر خبرة مني، ويسرّهم جداً أن يشغلوا وظيفة كهذه.

هزّ كتفيه: «كلامك صحيح. لكنني أؤمن بإعطاء الجيل الجديد فرص للعمل».

ـ يبدو هذا رائعاً، لكنني سأكون بحاجة إلى مسكن.

ـ ثمة شقة مخصصة لشاغل هذه الوظيفة، أما الراتب...

ونطق برقم خيالي بالنسبة إلى فرجينيا ثم تابع وكأنه قرأ أفكارها: «الحياة في نيويورك ليست رخيصة، لكنني أظنك ستستمتعين بها».

كان يتكلم وكأنها قبلت الوظيفة وانتهى الأمر، ورغم أنها لم تستطع أن تصدّق أن رجلاً مثل رايان فالكونر يبذل جهده لتحسين وضعها ويقدّم مثل هذه الفرصة لها، إلا أن الحماسة خنقتها.

ستعيش في أكثر المدن إثارة في العالم، وتقوم بالعمل الذي لطالما أرادت القيام به. لكنها ستعمل عنده...

هل هذا أمر حسن؟ حذّرها صوت خفيّ في داخلها. فقد فتنها رايان بشكل خطير. إن رجلاً في مثل عمره وجاذبيته لا بد أن يكون متزوجاً أو على علاقة طويلة الأمد بامرأة ما.

وحتى إذا لم يكن متزوجاً، فهي ليست سوى فتاة عادية، وبالتالي ليست من طبقته... وإذا سمحت لمشاعرها بالتطرف، فسينعكس ذلك

عليها بشكل سيء. فهل من المنطق أن تقبل عرضه المغري هذا؟

وخرق رايان الصمت الذي طال ليسألها بهدوء: «ربما تشعرين أنك لا تستطيعين أن تقبلي عرضي هذا بسبب اشتراك والديك فيه..».

ـ لا، ولكن...

ـ أؤكد لك أنهما لم يتدخلا في الأمر...

وهي تصدّق ذلك، فهما لا يهتمان بها بحيث يفعلان ذلك.

ـ لقد أخبراني أين أجدك، لكن ليس لديهما أيّ فكرة عن عرض العمل هذا...

وبشيء من نفاد الصبر والتحكم الحذر بالنفس، سألها: «ما هو رأيك إذن؟».

أدركت أن عليها أن ترفض، إلا أنها ألقت بالحذر جانباً، وقالت بلهفة: «نعم، شكراً. سأقبل».

ابتسم، وللحظة واحدة كان بإمكانها أن تقسم أن الارتياح بدا عليه. لكن لا بد أنها أخطأت في فهم التعبير الذي بدا على ملامحه...

مد يده قائلاً بمرح: «حسناً، بعد أن حسمت أمرك، فلنتصافح».

وضعت يدها في يده، فانتابها شعور غريب بأنها تقابل قدرها، وشعرت بهزة كهربائية تسري في ذراعها.

تأثيره عليها كان قوياً، وحذّرها التعقل من أنها تلعب بالنار، لكنها كانت تشعر بأن هذا الأمر لا يمكن تجنّبه وأنها تورّطت بحيث لم يعد يهمها شيء.

نبهها طبعها العملي، فأخذت تتساءل كم من الوقت يستغرق جمع ثمن الرحلة بالطائرة. وسألته: «متى تريدني أن أبدأ؟».

ـ بأسرع ما يمكن. الأسبوع القادم مثلاً. سأخبر رئيسك أنك لن

www.elromancia.com

تعودي، ونسوّي الأمور معه.

فقالت فرجينيا بإرتباك: «ليس هذا فقط».

فقال بحدّة: «هل هناك تعقيدات أخرى؟ ربما صديق؟».

ـ لا، على الأقل ليس بشكل جاد.

عاد الارتياح إلى وجهه مرة أخرى، وقال: «ذكرت أن لديك شقة... هل هي مستأجرة؟

ـ نعم.

ـ لا مشكلة إذن... أرجو ألاّ تكوني ممن يصيبهم الغثيان في الطائرة؟

ـ لا، لا أظن ذلك، فأنا لم أسافر يوماً بالطائرة.

ـ ولكن لديك جواز سفر؟

ـ نعم.

أخذ رايان يتأملها، ثم سألها: «إذاً، ما هي الصعوبة بالضبط؟».

فقالت رغماً عنها: «ليس لدي ما يكفي أجرة الطائرة».

ـ يا عزيزتي فرجينيا، أنا لا أتوقع منك أن تدفعي ثمن تذكرتك. في الواقع، فكرت في أن آخذك معي في طائرة الشركة النفاثة.

أخذت تفكر متأملة، في أنه يحاول جهده لكي يحصل عليها.

ـ هل بإمكانك تجهيز نفسك للسفر يوم الجمعة؟

عدا عن إخبار صاحب الشقة بأنها ستتركها، وحزم حقيبتها، لم يكن لديها سوى القليل لتقوم به.

ـ نعم، يمكنني أن أكون جاهزة.

ـ هذا حسن.

تغلب الفضول على خجلها الغريزي، فسألته: «ماذا كان سيحدث لو قلت إنني لا أستطيع القبول بالوظيفة؟».

فابتسم: «كنت سأبقي طائرتي في الانتظار».

وإذ رأى مدى ذهولها، أضاف ساخراً من نفسه بطريقة تعودت عليها: «أنا الرئيس، والحصول على ما أريد هو القاعدة».

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ المغامرة

كانت طائرة الشركة النفّاثة قمة في الرفاهية، والرحلة فوق المحيط سهلة وهادئة. أما بالنسبة الى فرجينيا فهي أجمل ما قامت به في حياتها.

كانت نيويورك، بناطحات سحابها، تمثل كل ما توقعته فرجينيا من عظمة وجمال. وشعرت أن عليها أن تقرص نفسها لترى إن كانت تحلم.

منذ أخذها رايان إلى المطعم، لم يتركها إلاّ نادراً. وعندما سألته متردّدة، عما إذا لم يكن لديه عمل أكثر أهمية ليقوم به، أجاب بابتسامة عريضة: «أهم شيء عندي هو أن أحرص على ألا تغيري رأيك».

لماذا يهمه عدم تغيير رأيها إلى ذلك الحد؟ أم أن قوله هذا مجرد ملاحظة لا تعني شيئاً؟

ظلّ يظهر رغبة في مرافقتها ويصر على أن يتناولا العشاء معاً. وفي كل مرة كان يعيدها إلى شقتها آمنة في ساعة مقبولة للغاية.

كانت لا تنفك تحذّر نفسها أنّ من الجنون أن تقع في غرامه، إلى أن أدركت أن الأوان قد فات، وأنها أصبحت أسيرة حبه، وأن كل قواعدها عن التحكم في النفس ذهبت أدراج الرياح. وبعد أن اكتشفت فرجينيا أنه ليس متزوجاً، أصبح من الصعب عليها أن ترفض دعواته.

إلا أن عقلها بقي يحذرها، فالتورط مع رجل مثله قمة في الغباء.

ومع ذلك أحست أنها تورطت وانتهى الأمر منذ اللحظة التي دخل فيها المعرض. . .

أصبحت على استعداد لأن تبيع روحها لكي تبقى قربه، حتى من دون أيّ ضمان لاستمرار ذلك.

لو كانت امرأة عصرية لتقرّبت منه، لكنها ليست من ذلك النوع. فهي لا تملك الشجاعة ولا الثقة بالنفس، كما منعتها من ذلك كبرياؤها. لعله لا يهتم بها كامرأة، رغم أنها لمحت في أكثر من مناسبة شيئاً من اللهب في عينيه جعل خفقات قلبها تتسارع ودفعها إلى الاعتقاد بأن التجاذب متبادل.

لكن طالما أن رايان متحكم في نفسه، فهي آمنة. كان يعاملها كصديقة حميمة، وبشهامة تسرّها وتحيّرها في الوقت نفسه.

لم تستطع أن تقتنع بأنه يعامل موظفاته بهذا الشكل . . . فما الذي يجعلها مختلفة عنهن؟

السبب الوحيد الذي خطر في بالها هو والداها، لكنها لم تقل شيئاً بهذا الشأن.

عندما دخلا المدينة بالسيارة، كانت زحمة السير شديدة. وعندما وصلا إلى الشارع الخامس كان الوقت عصراً فبدا الشارع ساحراً.

رغم تعودها على إخفاء مشاعرها، فشلت فرجينيا لأول مرة في حياتها في ذلك. لقد خلب لبها الجمال والحيوية في ذلك الشارع الشهير، الذي بدا وكأنه في عيد. فهتفت: « أليس هذا رائعاً؟».

إبتسم رايان لها: «إذن فلن تمانعي في العيش هنا؟».

ظنت أنه يعني المدينة، هتفت: «أنا واثقة من أنني سأحبها للغاية».

ثم سألته بلهفة: «أين سأسكن بالضبط؟».

فأجاب: «هنا».

ـ هنا؟ من المؤكد أنك لا تعني (الشارع الخامس) ؟

ـ بل أعني (الشارع الخامس). في هذه البناية بالذات .

قال هذا والسيارة تقف أمام ناطحة سحاب ، تظهر واجهة معرض متألقة على جانبي مدخلها البالغ الفخامة .

ـ ناطحة السحاب هذه معروفة بإسم (برج فالكونر) وقد بنيت منذ ثلاثين سنة فقط حين قرر أبي أن يستثمر في عقار حقيقي .

مدّ رايان يده إلى فرجينيا يساعدها على الخروج من السيارة، وهو يقول للسائق، كاتماً ابتسامة خفيفة : «هل لك أن ترسل الأمتعة إلى أعلى مباشرةً ؟» .

ـ بكل تأكيد، يا سيد فالكونر .

تطاولت بعنقها لترى البرج الزجاجي، ثم قالت : «إنه بالغ الارتفاع . كيف يمكنكم قطع كل تلك المسافة إلى أعلى ؟» .

ـ أنا أسكن حالياً في الطابق الأخير .

تأمل وجهها ثم قال بلهجة ذات معنى : «أما أنت، فستسكنين شقة صغيرة بجانب شقتي» .

وعندما نظرت إليه مذهولة، أمسك بمرفقها ورافقها إلى ردهة مضاءة بعدد من الثريات حيث حياهما حارس قصير متين البنية .

قال له رايان : «هذه هي الآنسة آدامز . ستسكن في الطابق الأعلى» .

وعندما ارتفع بهما المصعد بهدوء، حاولت فرجينيا أن تلتقط أنفاسها . كانت تتوقع غرفة واحدة في منطقة ما ولم تتصور قط أن تسكن في الشارع الخامس بجانب رايان .

الأمر كله لا يصدّق . ومرة أخرى أخذت تتساءل، لماذا لا؟

لعل مساعدته الحالية لا تزال تسكن في الشقة التابعة للمعرض؟

سألته : «هل هذا ترتيب مؤقت؟» .

نظر إليها جانبياً : «لا . ليس مؤقتاً . المبنى الذي تسكن فيه الآنسة

كالفيلد سيتم إعادة تأهيله . وبما أن الشقة الملاصقة لشقتي خالية في الوقت الحالي . . .» .

وتساءلت عما يجعل شقة في بناية فخمة كهذه تبقى خالية؟

وكأنه قرأ أفكارها، فقال : «كنا نتوقع أن تنتقل إليها جانيس، ابنة زوجة أبي، عندما تنهي دراستها في الكلية، لكنها غيرت رأيها بالنسبة إلى الإقامة في نيويورك» .

ووصل المصعد وانفتح بابه .

قال : «إنها تحت السطح بقليل . يبدو أنها فكرة أمي، وبما أنني كنت قد ولدت لتوّي، قرر والدي أن يحقق لها هذه النزوة . على أيّ حال، لطالما أحببت هذه الشقة» .

ولاحظت نافذة كبيرة للغاية تطل على مشهد مثير فوق السطوح : «اعتدت أن أسمّي هذا نافذتي إلى السماء» .

وعلى الجدار المقابل، رأت سلسلة من النوافذ الصغيرة المتماثلة على كل جانب من جوانب باب كبير منقوش بشكل جميل .

ـ هذه هي شقتي . كانت بيت الأسرة الرئيسي في حياة أبي .

ثم قاد فرجينيا إلى باب أكثر تواضعاً، فتحه ودخل وهو يقول : «وهنا ستسكنين أنت . هيّا لأريك الشقة . إن الشقة صغيرة، لكنها تقع في زاوية المبنى، وبهذا لديك مشاهد جيدة من الناحيتين . . .

شعرت وكأنها في حلم، فتركت حقيبة كتفها وتبعته، وإذا بها تكتشف أن شقتها الصغيرة أكبر حجماً واتساعاً مما كانت تتصور .

كانت غرفة الجلوس تطل على شرفة جميلة وحديقة على السطح فيبدو المنظر منها خلاباً .

سألها : «هل أعجبتك؟» .

فأومأت من دون كلام .

ـ عندما تستريحين، ستتناول العشاء في مطعم «الغيوم» . .

www.elromancia.com

وأربكها تماماً، حين أضاف بلهجة عفوية: «سنمرّ على بقية أفراد الأسرة ليتم التعارف بينكم».

وفجأة وجدت صوتها لتسأله: «بقية أفراد الأسرة؟».

- بيث وجانيس تشغلان شقة في الطابق الذي يقع تحتنا مباشرة. ستيفن وزوجته مادلين يعيشان في شقة بجانبهما.

إذن ستعيش محاطة بعشيرة فالكونر كلها... كما أخذت فرجينيا تفكر مبهورة.

- إنهم يتوقعون منا أن نزورهم. لا تقلقي، فالأمر ليس كما يبدو. وأنا واثق من أنك ستحبين بيث...

بدا واضحاً من الرقة التي ارتسمت على وجهه أنه مولع للغاية بزوجة أبيه.

وعندما تبعته إلى الردهة، أضاف يقول: «أرجو أن تنسجموا معاً».

وإذ رأته ينتظر جواباً، قالت بقناعة أكبر مما تشعر به: «أنا واثقة من ذلك».

إذا كان هذا ما يريده رايان، فستبذل ما في وسعها لكي تنسجم معهم. لكن ماذا سيكون شعورهم نحوها؟

كان واضحاً أنهم أسرة ثرية نافذة في مجتمع نيويورك بحيث يختلطون بالرؤساء وأمثالهم. أما هي، ورغم ثقافتها الجيدة، فمتواضعة بالنسبة إليهم، إذ تعتاش من عملها. والأسوأ من ذلك، هي موظفة عند رايان...

رن الجرس ففتح رايان الباب، وقال: «إنها الأمتعة. اترك هاتين الحقيبتين. أما الحقيبتان الأخريان فأدخلهما إلى هنا... أين تريدين أن يضعهما؟ في غرفة النوم؟».

رفع حاجبيه مستفهماً، فقالت محاولة أن تجعل صوتها عملياً جافاً: «نعم. أرجوك».

عندما أراها رايان غرفة النوم، ذات السرير المزدوج الفسيح، مرت صور حميمة أمام ناظريها، ما جعلها تحمر خجلاً.

رأت عينيه، وتكهنت أنه كان يقرأ أفكارها، فازداد احمرار وجهها وهربت من الغرفة.

وضع الغلام الحقيبتين، فناوله رايان بعض الدولارات، فتمتم شاكراً، وخرج.

قال رايان وهو يقف عند الباب المفتوح: «حسناً، سأتركك لكي تفتحي أمتعتك وترتاحي...».

فجأة، وربما لأول مرة، بدا كل شيء حقيقياً. إنها هنا في نيويورك لتبدأ عملاً جديداً، وتسكن في الشارع الخامس بجانب شقة رايان. ولم تدر إن كان ذلك لمصلحتها أم لا...

ابتسمت له، وعلى وجهها كل الحماسة والتوقعات، وقد غمرها السرور لوجودها معه.

وقف رايان ينظر إلى وجهها المشرق من دون أن يقوم بمحاولة للذهاب، فيما بدا وجهه متوتراً بشكل غريب.

وعندما أحنى رأسه قليلاً، ظنت، وقد كفّ قلبها عن الخفقان، أنه سيعانقها.

وبدلاً من ذلك، لمس خدّها بإصبع واحد مرسلاً في جسدها قشعريرة لذيذة: «كان يوماً شاقاً ولا بد أنك بحاجة إلى النوم باكراً. سأعود في حوالى الساعة السابعة».

وفيما وقفت جامدة كالتمثال، خرج هو مغلقاً الباب خلفه بهدوء.

تسمّرت مكانها ولم تستطع الحركة إلا بعد أن استجمعت شتات نفسها فاتجهت إلى غرفة النوم.

* * *

www.elromansia.com

لم تكن الساعة قد بلغت السابعة عندما رن جرس الباب. سارت فرجينيا إلى الباب تفتحه وقد ارتدت الثوب الرسمي الوحيد الذي لم يره رايان عليها. بدت راضية عن نفسها لأنها أنيقة ومتألقة بقدر استطاعتها.

كان يرتدي سترة أنيقة وقميصاً حديث الطراز، وبدا شعره الأسود الكث جعداً قليلاً. وقف يبتسم لها، جاعلاً خفقات قلبها تتسارع وركبتيها ترتجفان.

بدا رايان وسيماً إلى حد يخطف الأنفاس، وكان هادئاً واثقاً من نفسه إلى حد أن ثقتها بنفسها تبخرت على الفور، ووجدت نفسها تسأله بقلق: «هل مظهري حسن؟».

نظر إليها، متأملاً شعرها البني اللامع ووجهها الجميل بعينيها الخضراوين، وفمها الدقيق، وقوامها الرشيق في ثوبها الأخضر البسيط، ولاحظ أنها لا تضع أي مجوهرات، ثم فكر في أنه لم ير قط امرأة أجمل منها.

رفع يدها إلى شفتيه وقبّل راحتها. هذه اللفتة الشاعرية خطفت منها الأنفاس.

قال يطمئنها: «سيحسدني كل الرجال هذه الليلة».

نظر إلى أهدابها الطويلة وقد أسبلتها، ووجهها الذي تورد قليلاً، وشعر بموجة من المشاعر جعلت صوته أجش تقريباً وهو يسألها: «هل لديك معطف؟».

أحضرت سترة من الفراء، فساعدها على ارتدائها قبل أن يقترح عليها: «بما أن الأسرة تسكن تحتنا بطابق واحد، فهل ننزل سيراً على الأقدام؟».

مخاوفها السابقة عاودتها، فأومأت محاولة أن تخفي توتر أعصابها.

وبابتسامة مطمئنة، تأبط ذراعها ثم نزلا معاً السلم الرخامي. وما كاد رايان يلمس الجرس حتى انفتح الباب، ما دلّ على أن سكان الشقة كانوا في انتظارهما بلهفة.

ـ لا بد أنك الآنسة آدامز، تفضلي.

وقادت امرأة باسمة، فضية الشعر، فرجينيا إلى ردهة جميلة: «أنا اليزابيت فالكونر، زوجة والد رايان..».

ولم تجد أثراً للتعالي الذي خافت منه.

كانت اليزابيث فالكونر تتكلم بلهجة إنكليزية رغم السنوات العشرين التي أمضتها في الولايات المتحدة. كانت قصيرة القامة ورشيقة، ذات عينين بنيتين ناعمتين، ووجه جميل رقيق.

وأحبتها فرجينيا من أول نظرة.

ـ تعالي لنتعرفي إلى بقية الأسرة.

وفي غرفة الجلوس الفسيحة الجميلة، وجدت ثلاثة أشخاص، امرأة شقراء مذهلة الجمال في أوائل الثلاثينات، ورجل حسن المظهر معتدل الطول ذو شعر أشقر وعينين زرقاوين. كما جلست على مقعد منخفض أمام النار المشتعلة، امرأة صغيرة السن ذات شعر أسود طويل.

وقالت بيث بمحبة: «هذه ابنتي جاينس».

قالت بابتسامة ودودة: «إذن، أنت فرجينيا... رايان على حق».

قالت جملتها الأخيرة بلهجة ناقدة. وتابعت بيث تقول: «وهذا ابني ستيفن».

كان الشبه العائلي واضحاً. وعندما تقدم ستيفن ليصافحها بحرارة قال: «تسرّني مقابلتك، يا آنسة آدامز. هل لديك مانع في أن أدعوك فرجينيا؟».

ـ أرجو أن تفعل ذلك.

www.elromancia.com

بدا في ابتسامة فرجينيا الارتياح والسرور، وتابع ستيفن بزهو واضح: «هل لي أن أقدم لك زوجتي مادلين؟».

كانت مادلين شقراء مذهلة القوام، وهي إحدى أجمل النساء اللاتي قابلتهن فرجينيا.

تأملتها العينان الفيروزيتان ببرودة: «مرحباً، يا آنسة آدامز. يجب أن أعترف أننا ذهلنا بعض الشيء حين قال رايان إنه سيعود وبصحبته امرأة عرفها لتوه».

الكلمات والابتسامة كانتا مهذبتين ظاهرياً، لكن فرجينيا أحست بنبرة من الانتقاد، فقالت: «أنا واثقة من ذلك. حدث كل شيء بسرعة وما زلت أشعر بالغرابة».

ـ ألا تخلعين سترتك وتجلسي؟

وقبل أن تتمكن فرجينيا من أن تجيب، قال رايان الذي وقف صامتاً طوال الوقت، بحزم: «شكراً، لكن كارلسن ينتظر في السيارة. فنحن سنتناول العشاء في مطعم «الغيوم»».

رافقتهما بيث إلى الباب ثم ابتسمت لرايان ابتسامة خفيفة وربتت على ذراعه وكأنها تظهر له موافقتها الضمنية.

ثم التفتت إلى فرجينيا: «بما أننا أهل، نحن نرحب بك على الدوام... بالمناسبة، حرصت على أن يكون لديك في الشقة كل ما تحتاجينه حتى تستقر أمورك، وإذا احتجت إلى شيء فأخبريني».

وفي المصعد قال لها رايان: «هل شعرت أنك تخضعين لامتحان قاس؟».

ـ على الإطلاق. كانوا لطفاء للغاية.

فقال بفظاظة: «لا تكنّ مادلين المودة للنساء الأخريات، خصوصاً الجميلات منهن».

أجفلت فرجينيا وقالت باحتجاج: «لكنني لست جميلة».

فالتفت إليها باسماً: «إنها وجهة نظر. فأنا أراك كذلك».

ورغم أنها لم تكن توافقه الرأي، إلاّ أنها أحست بنفسها تسير فوق الريح لأنه يراها كذلك.

كان مطعم«الغيوم» أحد أرقى المطاعم في مانهاتان، ويطل على مشاهد خلابة للمدينة المرصعة بالجواهر.

كانت عينا فرجينيا غالباً، مسمرّتين على الرجل الجالس أمامها عند مائدتهما الصغيرة.

في البداية، حاولت أن تكون عملية، أن تسأله عن المعرض وعن الوظيفة التي ستستلمها قريباً، لكن رايان هزّ رأسه: «هذا ليس وقت التحدث عن العمل. نحن هنا لنرتاح ونتمتع بوقتنا، أليس كذلك؟».

ـ وهو كذلك.

قررت فرجينيا أن تستمتع بالحاضر والمكان من حولها، رافضة أن تدع المشاكل التي يمكن أن تواجهها، تضعف سعادتها. قررت أن تفرح بوجودها مع رايان في مثل هذا المكان الرائع.

مرّ الوقت بالحديث والضحك، وأكل الطعام اللذيذ الذي لم تكد تتذوقه وهي الغارقة في الحب حتى أذنيها. كان رايان مرافقاً ساحراً، بث فيها شعوراً بالحيوية البالغة وأشعرها بأنها أذكى وأكثر فتنة مما تعهده في نفسها.

ساد شعور بالانسجام بينهما... شعور بالرضى، وكأنهما في المكان الذي يريدان أن يكونا فيه بالضبط.

وعندما أحضرت القهوة، ظهر وراء شعور الراحة والرضى نوع من التوتر... إحساس لم تشعر به فرجينيا من قبل، جعلها غير قادرة على أن تنظر في عينَي رايان، كما جعلها، في البداية، تتلعثم، لتلوذ بعدئذ بالصمت.

سألها: «أتريدين أن ترقصي؟».

خطر لها أنه سيحتضنها ما جعلها ترتجف، وبعث الوهن في كيانها. فيما تابع قائلاً: «أم تفضلين أن تذهب؟».

ورغم أنها لم تكن واثقة، إلاّ أنها شعرت أنها تثير فيه مشاعراً من نوع آخر غير تلك التي يصرح بها. أما جوابها فكان حاسماً.

عندما تحرق مراكبها، لن يعود بإمكانها العودة عن قرارها.

وهكذا، هل الرئيس الذي سيستخدمها أم الرجل؟

الرجل بكل تأكيد. لكن لنفرض أنه يريد علاقة عابرة؟ هل يمكنها أن تحتمل ذلك؟ فقدانها كرامتها؟ إذلالها؟

المشكلة هي أنها لا تعرفه بما يكفي لتكتشف أي نوع من الرجال يكمن خلف هذا المظهر الساحر.

ماذا لو أصبحت بالنسبة إليه مجرد عقبة، بعد أن يملّ منها؟

من الممكن أن تنتهي من دون وظيفة، أو مال ومن دون مكان تعيش فيه ولا سبيل إلى الذهاب إلى وطنها.

الإحتمالات كانت كثيبة للغاية. ولكن، لسبب ما، كل هذا لم يعد له أهمية. بدا وكأن كل شيء مقدر. وكأنما قدّر عليهما أن يتعارفا ويصبحا حبيبين...

وفيما الأفكار تتسابق في ذهنها، كان هو يجلس بهدوء متأملاً وجهها. شعرت بفروغ صبره، وفجأة تملكها الشعور نفسه، فقالت بصوت أجش: «نعم، أنا مستعدة للذهاب».

كانت الليموزين في الانتظار، فعادا بصمت وبينهما مسافة قدم، وكأنهما يخافان أن يتلامسا فيشبّ الحريق.

عندما وصلا إلى «برج فالكونر»، حيا رايان سائقه، ثم سار نحو الحارس ليتحدث إليه قليلاً، وجوّ الهدوء المحيط به يتناقض مع المشاعر التي تتملّكه.

في المصعد أمسك بيد فرجينيا، فشعر أنها ترتجف. قال: «يا

إلهي! إنك ترتجفين. هل أنت خائفة أم تشعرين بالبرد؟».

فأجابت متلعثمة: «لا.. لا أبداً.. ربما هو البرد».

نظر إليها رايان نظرة ذات مغزى، إذ أدرك أنها تكذب، لأنه هو أيضاً يشعر بتيار عنيف يسري بينهما. ودون أن يضيف كلمة أحنى رأسه وعانقها.

أثناء دراستها في الكلية، خرجت مع عدد من الشبان، إلا أنهم كانوا يثيرون فيها الغثيان نوعاً ما. أما عناق رايان فملأها بالمشاعر والبهجة، وأذاب العظام في جسدها وتركها جائعة إلى المزيد.

عندما وقف بهما المصعد وانفتح الباب، قال لها والتصميم باد في صوته: «أود أن نتحدث قليلاً في شأن هام».

وجدت نفسها تتساءل عما يريده؟ ربما يعتقد أنها سهلة المنال. إلى أي شقة يريد أن يأخذها؟

قادها عبر الردهة إلى شقتها وهو ما زال ممسكاً بيدها.

فسألته: «بأي شأن تريد أن تحدثني؟».

- لن نتكلم في الردهة، فلندخل أولاً وستعرفين.

راحت تراقبه وهو يفتح الباب. كان رائعاً بكتفيه العريضتين وحبست أنفاسها لمنظره.

توقف لحظة، ليفسح لها المجال في الدخول. أضاءت فرجينيا النور لكنها ظلت واقفة تنظر إليه. وسرعان ما قادها للجلوس على الأريكة بقربه. تعلم أن الأمر كاللعب بالنار، لذا فعليها أن تكون حذرة. أطال التحديق إليها وكأنه يتفحص كل جزء من وجهها، مما جعل الاحمرار يعلو وجنتيها. كان رايان يتعجب دائماً من ردّة فعلها هذه وأراد أن يتأكد من أمر آخر فقال: «إن خجلك هذا يناسب فتاة صغيرة عذراء، لا امرأة راشدة تتحمل مسؤولية نفسها مثلك».

قالت فرجينيا وهي تشعر بالوهن تحت تأثير نظراته وحضوره

المسيطر: «مع أنني لست صغيرة في السن وأتحمل مسؤولية نفسي إلا أنك محق في الجزء الآخر مما قلته».

وعضت على شفتها بسرعة، وكأنها خجلت لتحدثها عن هذا الموضوع.

بهت رايان لكلامها، وكأنه لم يتوقع ذلك إلا أنه ما لبث أن ابتسم ابتسامة رضى. وسألها: «لا أفهم كيف بقيت من دون حب طوال هذه المدة؟ إن إمرأة بجمالك تعيش بمفردها..».

ـ لا أحب العلاقات العابرة، كما لم أتعرف إلى رجل جعلني أحبه بما يكفي...

وأدركت، بعد فوات الأوان، أنها أخطأت في قولها الجملة الأخيرة.

فسألها برقة: «وأنا، ألا تشعرين نحوي. بشعور مختلف؟».

فأجابت متهرّبة: «أنا... وجدتك جذاباً».

ـ فقط؟

ـ ألا يكفي هذا؟

ـ لا أظن ذلك، لأنني أريد أن أتزوجك.

فهتفت مصعوقة: «تتزوجني؟».

ـ نعم، أتزوجك.

كانت مقتنعة بأن ما يقوله خدعة، فقالت: «أليس من الأفضل لك أن تكون حذراً؟ فقد أظنك جاداً».

ـ وأنا أريدك أن تظنيني جاداً.

ـ لا يمكن أن ترغب حقاً في أن تتزوجني. فقد تعارفنا لتوّنا.

ـ ألا تؤمنين بالحب من أول نظرة.

ـ بل أؤمن...

فهي أيضاً منحته قلبها ما إن وقعت عيناها عليه. إنها لا تستطيع أن

تنكر ذلك.

مد يده يرفع وجهها إليه: «كنت أرجو أن تؤمني أنت أيضاً بذلك».

ـ و... ولكننا غير متناسبين. فأنت...

فقاطعها: «أنا رجل يريد أن يتزوجك وأنت لا تقتنعين بسهولة».

ـ أنا لا أفهم لماذا تريد أن تتزوجني. معظم الناس في هذه الأيام يختارون العلاقات الحرة.

ـ وهل هذا ما تريدينه؟

ـ لا.

ـ ولا أنا. أظنني من النوع الذي يتمسك بالقيم القديمة. ومعرفة أن زوجة المستقبل مثلي، جعلني أشعر بسرور غير متوقع.

زوجة المستقبل... ؟

كم تودّ أن تصدق ذلك.

ـ هناك سبب آخر يدعوني للزواج وهو أنني أريد أطفالاً خلال عام أو نحوه، وأنا أريدهم منك. ألا ترغبين في إنشاء أسرة؟

ـ نعم، أرغب في ذلك.

تأمل وجهها ثم سألها: «وما الذي يزعجك إذن؟».

ـ طراز حياتنا مختلف.

ـ لكنه غير متنافر. ألا تظنين أن بإمكانك أن تتعودي على حياة الأغنياء؟

ـ أنت تعيش في عالم مختلف تماماً، مجتمعك... أصدقاؤك...

ـ أنت تعيشين في عالمي الآن، والمجتمع الذي أعيش فيه سيستقبلك بذراعين مفتوحتين. فأنت ذكية، رائعة الجمال ومثقفة ولديك ميزات خاصة...

ـ وأبوان مشهوران؟

www.elromancia.com

- لن أعلّق على تحاملك وموقفك هذا.

وإذ أدركت أن الحق معه، تمتمت: «آسفة، يبدو أنني لا أستطيع منع نفسي».

- حسناً، إذا كانت شهرة والديك تزعجك إلى هذا الحد، فلن نأتي على ذكرهما ونزعم أنهما غير موجودين...

- ذلك لا يزعجني، إنه فقط...

- لكنني أدين لهما بالشكر ولهذا أريد أن أدعوهما إلى العرس.

ومد يده يلامس ذراعها ببطء، مرسلاً في جسدها رعشات لذيذة. كان تأثيره عليها مخيفاً.

وأرادت أن تبدي ممانعتها قليلاً: «لكنني لم أقل بعد إنني سأتزوجك».

- حسناً، أنا سأتزوجك. وإذا لم تقولي نعم وتعيّني موعداً للزفاف، فسأبقى مصراً، وسأحاول التودّد إليك ومغازلتك إلى أن تقتنعي. فما رأيك؟

- إذن، ربما من الأفضل أن أرفض...

ضحك مسروراً، ثم عانقها مرة أخرى: «ما دمت قد ظفرت بالجواب المناسب في النهاية، فأظنني سأقوم بالعمل على طريقتي».

***

٥ - رحلة العذاب

عند الصباح دعاها رايان لتناول الإفطار في مطبخ شقته الفسيح المشمس، قبل أن يعود إلى موضوع الزواج: «وهكذا، متى سيكون الزواج؟».

كانت فرجينيا تجلس قبالته، ووجهها مشرق خال من أي زينة، وشعرها المجعد مبلل من الدوش.

كانت ترتدي ثياباً قطنية خفيفة وأخذ يفكر في مدى جمالها وجاذبيتها.

رفعت بصرها إليه، وعيناها تلمعان في أشعة الشمس، وأخذت تتفحص وجهه: «هل أنت واثق من أنك تريد أن تتزوجني؟».

- مئة بالمئة.

وعندما رآها تقطب قليلاً وتعود إلى طعامها، سألها: «هل ما زالت هذه الفكرة تحيرك؟».

- ماذا عن أسرتك؟ ماذا لو اعترضوا؟

- أنا واثق من أنهم لن يفعلوا.

- إفرض أنهم فعلوا.

- لا أحتاج إلى موافقتهم. لكنني واثق من أنهم سيبتهجون لأجلي، وخصوصاً بيث. والآن، فلنعد إلى سؤالي الأساسي، متى سيكون هذا؟

- متى تحب أنت أن يكون؟

www.elromancia.com

ـ بأسرع ما يمكن. فلنقل في منتصف كانون الأول؟ وهذا يمنحنا حوالى شهرين لإنهاء الترتيبات.

ـ إنهاء الترتيبات؟

فرفع حاجبيه: «لمَ الدهشة؟ ألا تأخذ ترتيبات الأعراس وقتاً في العادة؟».

ـ ليس إذا كان عرساً هادئاً.

ـ لكن عرسنا لن يكون هادئاً. إذا كنت تفكرين في علاقة سرية فالجواب هو لا. أريد أن أتباهى بعروسي. أريد أن نتزوج في كنيسة سانت باتريك ويكون لنا عرس يتكلم عنه مجتمع نيويورك...

وإذ رأت أنه يعني كل كلمة يقولها، وافقته ذاهلة: «لا بأس، إذا كنت تريد هذا حقاً».

ـ وإذا لم يكن لديك مانع، ما زلت أريد أن أدعو والديك إلى زفافنا.

ـ طبعاً سندعوهما.

فقال بهدوء: «أظن أنه من الإنصاف أن نعطي أباك فرصة مرافقتك إلى الكنيسة. أليس كذلك؟».

ـ أظن ذلك، رغم أنني أشك في رغبته بذلك.

إبتسم رايان لها ثم أمسك بيدها يقبلها: «والآن، بالنسبة إلى الترتيبات، أنا واثق من أن بيث ستسرها مساعدتنا. هذا إذا سمحت لها بذلك».

ـ طبعاً سأسمح لها. لكن هل أنت واثق من أنها لن تتأذى؟ أخبرتني أنها سبق وأصيبت بنوبة قلبية.

ـ أنا مقتنع بأن هذا النوع من الحماسة سيفيدها تماماً.

***

تملك فرجينيا الارتياح عندما أبدت بيث، ذات القلب الكبير، سرورها البالغ، كما توقع رايان بالضبط.

أما والداها اللذان يعيشان في حي سوهو في مبنى جميل فأطلعاهما على الأمر في الصباح نفسه.

وعندما اقترح رايان، أن يرافقها أبوها إلى الكنيسة، حسب التقاليد، وافق على الفور، ما أدهش فرجينيا.

وبعد أن تناولا الطعام، أخذ رايان فرجينيا لتختار خاتم الخطوبة. وقفت ذاهلة أمام المجموعة الضخمة من الأحجار الكريمة المتألقة، واختارت أخيراً حجراً أعجبها.

أعجبها لونه الأصفر الصافي المتألق، وطرازه القديم، فنظرت إلى رايان تطلب رأيه. وضعه في إصبعها فوجده مناسباً تماماً. أخذ يتأمله لحظة قبل أن يقول موافقاً: «نعم، إنه يلائم يدك».

سار كل شيء على ما يرام وكأنما حصل بسحر ساحر. ابتهجت جاينس عندما طلبوا منها أن تكون وصيفة العروس، بينما أعلن ستيفن أنه سيسرّه جداً أن يكون شاهد العريس.

وحدها مادلين كانت تجلس هادئة مؤدّبة في حضور رايان، فيما تميل في غيابه إلى القاء ملاحظات خبيثة مقصودة، خصوصاً عن خاتم خطوبة فرجينيا.

ـ كم هو عتيق الطراز! أما كان الماس أفضل؟ فهو يساوي مبلغاً أكبر فيما لو غيّر رايان رأيه بالنسبة إلى الزواج وأبقى الخاتم لك.

لكن حقد هذه المرأة لم يستطع أن يفسد سعادة فرجينيا. فكانت أيامها كلها فرحاً. رايان يحبها وهما سيتزوجان، وستكون هي جزءاً من هذه الأسرة السعيدة. لقد تحقق حلمها.

ورغم أنها كانت تمضي الكثير من السهرات برفقته، إلا أنها رفضت إلحاحه الدائم عليها بأن تنتقل إلى شقته، حتى أنها رفضت أن

www.elromancia.com

تأخذ مفتاحها.

وعندما عاد رايان إلى العمل كارهاً، بعد أن أخذ عطلة أسبوعين لكي يريها نيويورك، قررت فرجينيا أن الوقت حان لكي تفعل مثله وتذهب إلى العمل لتعيل نفسها وتشعر بالاستقلالية، رافضة أن ينفق عليها قبل الزواج.

وفيما هما يشربان القهوة تلك الأمسية، بسرور ورضى، فتحت الموضوع: «رايان..».

ـ نعم...

ـ أريد أن أبدأ عملي في المعرض.

ـ لا حاجة بك إلى العمل على الإطلاق.

ـ لكنني أريد ذلك، وإلا ماذا سأفعل طوال النهار أثناء وجودك في المكتب؟

ـ يا عزيزتي... عليك أن تهتمي بأمور العرس... وبمناسبة الحديث عن العرس، أين تريدين أن نقضي شهر العسل؟

ـ لا يهمني في الحقيقة.

ـ حسناً، إما أن نذهب للتزلج، وإما أن نذهب إلى بلاد مشمسة... ماذا تفضلين؟

ـ أظنني أفضل البلاد المشمسة.

ـ مكسيكو؟ جزر هاواي؟ جزر الكاراييب؟

ـ لطالما تمنيت الذهاب إلى هاواي.

ـ فليكن هاواي إذن.

وضمها إليه وهو يغمض عينيه فانسدلت أهدابه الكثيفة السوداء على وجنتيه.

ـ رايان، لا أريد أن تغيّر الموضوع بكل هذا الحديث عن شهر العسل.

www.elromancia.com

فقال متظاهراً بالبراءة: «أغيّر الموضوع؟ لا أدري ما تعنين».

ـ بل تعلم جيداً ما أعني. أريد أن أبدأ العمل الذي وعدتني به.

ومالت عليه تعانقه، فسألها: «حبيبتي، هل تحاولين التملق إلي لإقناعي؟»

ـ نعم.

فتنهد خاضعاً: «حسناً جداً، إذا كان هذا ما تريدينه حقاً. ولكن خذي أيام عطلة من العمل بين حين وآخر لكي تشتري ما تحتاجينه».

ـ سأفعل.

وافقت بسعادة، وهي تكافئه بعناق صغير جعل رايان يذوب حباً بها.

* * *

رغم شغف فرجينيا بعملها واستمتاعها بالأيام التي تمضيها في المعرض، كانت تجد نفسها دوماً متلهفة إلى قضاء المساء برفقة رايان، فهو رجل رائع وحبيب رقيق المشاعر، كما أنه سخي وحنون. وهكذا تسارعت الأيام في دوامة من السعادة والرضى.

ومع حلول الأسبوع الأول من كانون الأول، كانت معظم ترتيبات العرس قد انتهت، ولم تبق سوى بعض التفاصيل الصغيرة.

لم تعد فرجينيا ترى رايان كثيراً وذلك لأنه يتأخر في مكتبه غالباً لينهي الأعمال المطلوبة منه قبل رحلة شهر العسل.

ويوم الجمعة، ذهبت فرجينيا مع بيث للقيام بآخر قياس لثوب الزفاف.

عادتا إلى البيت بعد فترة فسألتها بيث: «هل سترين رايان هذا المساء أم سيتأخر مرة أخرى؟».

ـ لا، لن يتأخر في العمل لكنني لن أراه، لأنه سيحضر عشاء جمعية خيرية.

ـ إذا لم يكن لديك خطة أخرى، لماذا لا تأتين لتناول العشاء معي؟ جاينس ستتعشى في الخارج وسأكون لوحدي.

أجابت فرجينيا على الفور: «هذا يسرني جداً».

وعند السادسة والنصف، نزلت فرجينيا مجدداً إلى شقة بيث. أمضتا سهرة جميلة لعبتا فيها الورق واستمعتا إلى الموسيقى بصمت وهما تتبادلان بعض الأحاديث من وقت لآخر.

وعندما ألقت فرجينيا تحية المساء على بيث وتركتها، كانت الساعة قد قاربت العاشرة.

صعدت مشياً إلى الطابق الأعلى وهي تتساءل إذ كان رايان سيتأخر. وما إن وصلت إلى أعلى السلم حتى وجدت باب شقته مفتوحاً وقد وقف في العتبة شخصان.

كان رايان حافي القدمين، يرتدي ثوب حمام كحلياً قصيراً، كما كانت مادلين ترتدي عباءة من الحرير الأسود مع خفّ أسود أيضاً، وشعرها الأشقر اللامع ينسدل على كتفيها.

كانت يدها النحيلة القرمزية الأظافر ملقاة على كمه، وهي تتحدث بهدوء وبشكل ودي حميم. تردّدت فرجينيا، شاعرة بالارتباك فيما ألقت مادلين نظرة مختصرة باتجاهها من دون أن يبدو عليها أنها لاحظت وجودها.

بعد ذلك بلحظة، وضعت مادلين ذراعيها حول عنق رايان ثم تبادلا عناقاً مختصراً، بدا محموماً في عيني فرجينيا.

وفجأة تملكت فرجينيا قشعريرة باردة، وتسمرّت في مكانها، بينما مرت مادلين بجانبها بسرعة وهي ترمقها بنظرة لامعة تنضح بالعداء والانتصار.

قال رايان وهو يجتاز الردهة ليلقاها: «من أين جئت؟».

ومن خلال شفتين متوترتين، قالت فرجينيا: «كنت أتعشى مع

بيث».

بدا صوتها مهتزاً متوتراً. جذبها رايان نحوه وانحنى ليعانقها، لكن، وبحركة لا إرادية أشاحت عنه بوجهها.

انتصب واقفاً، وقال بهدوء: «لا تدعي هذا يزعجك. إن مادلين... فلنقل إنها... كانت غير متحفظة في مشاعرها».

صفة (غير متحفظة في مشاعرها) هي آخر صفة كانت فرجينيا تتوقعها من مادلين الباردة كالثلج.

وإذا رأى الانزعاج البالغ على وجهها، حاول أن يخفف من الأمر: «الأقارب يعانقون بعضهم بعضاً».

إنهم أسرة مترابطة، والأقارب يعانقون بعضهم بعضاً، ولكن هل يعانق الرجل زوجة أخيه وتعانقه هي بتلك الطريقة؟

جرها نحو شقته وهو يقول: «تعالي وأخبريني كيف قضيت نهارك.. وكيف وجدت ثوب الزفاف».

حالما انغلق الباب خلفهما، جاهدت لكي تجيبه بطريقة عفوية: «إنه ممتاز».

تذكرت كيف رفضت مادلين دعوة بيث، متسائلة إذا ما أمضيا السهرة معاً، سألته: «ماذا حدث؟ هل فشل العشاء الخيري؟».

ـ لا. بل انتهى أسرع مما توقعت. عدت منذ نحو نصف ساعة فقرعت جرسك، وعندما لم أجد جواباً، ظننت أنك في الحمام. لو أدركت أنك مع بيث لنزلت إليكما.

وبدلاً من ذلك، عقد هو ومادلين لقاء خاصاً... خطرت لها هذه الفكرة رغماً عنها، فحاولت نبذها لكنها فشلت.

تأمل وجهها، ثم قال بسرعة: «إسمعي. أظن أنه من الأفضل أن نصفي الجوّ بيننا».

قادها إلى الأريكة، ثم دفعها للجلوس برفق وجلس على مقعد

بجانبها: «لا أدري ما هو السيناريو الذي تشكّل في رأسك، لكني، أنا ومادلين لم نتحدث معاً سوى لدقيقتين، حتى إنها لم تدخل. كنت قد فرغت لتوي من الحمام عندما سمعت رنين جرس الباب فذهبت إلى الباب متوقعاً أن أراك...»

وفيما كانت فرجينيا متلهفة إلى أن تصدقه ظل الشك يساورها، فمن غير المألوف أن تزور امرأة شقيق زوجها في مثل هذا الوقت وهي ترتدي عباءة...

وتابع رايان يقول: «جاءت مادلين لتسألني أن أختار بين هديتين من أجل زواجنا. ولتقول لي إنها سعيدة من أجلنا».

وعندما ظهر على وجه فرجينيا تعبير ينم عن الاستهجان قال: «أعلم أن مادلين لا تسر من أجل أحد ولا تفكر إلا بنفسها. على أي حال، بدت صادقة بكل تأكيد».

ـ تقصد حين عانقتها؟

ـ أنا لم أعانقها، هي التي عانقتني.

لقد ارتاحت من شكوكها الآن، فألقت بنفسها بين ذراعيه.

* * *

بعد أيام، عادت جاينس لتزرع في ذهن فرجينيا، ذات مساء وبكل براءة، شكوكاً جديدة.

كانت فرجينيا قد عادت من المعرض لتوها، عندما رن جرس الهاتف... وإذا بجاينس تقول بحماسة: «لقد أحضروا لي ثوب وصيفة العروس، فهل يمكنك أن تنزلي دقائق عدة لتساعديني على اختيار الأجمل منها؟».

ـ سأنزل حالاً.

ركضت جاينس تفتح لها الباب، مرتدية ثوبها البرتقالي الحريري الفاخر: «يصعب علي الاختيار، فكلها رائعة. تعالي وأنظري».

كانت الفتاتان منهمكتين في اختيار غطاء الرأس، عندما قاطعهما جرس الباب. فقالت فرجينيا: «سأفتح أنا الباب».

عندما فتحت الباب، هبط قلبها وهي تجد مادلين رائعة الأناقة كالعادة، وشعرها الأشقر يلمع بقوة.

مرت بجانبها دون كلمة واتجهت إلى غرفة الجلوس تاركة فرجينيا تلحق بها.

ـ أين رايان؟ أريد أن أتحدث إليه. إنه معك حتماً، فهو يلازمك على الدوام.

قالت مادلين وهي تتأمل الأثواب: «هذا العرس سيكلف الكثير، ومن حسن الحظ أن الأسرة غنية».

سألتها جاينس: «هل أنت باقية هنا؟».

ـ لا. ستيفن سيأخذني إلى العشاء في الخارج. لكنني كنت أريد التحدث مع رايان أولاً.

ـ آسفة لعدم استطاعتنا أن نساعدك.

عندما سارت مادلين إلى الباب، أطلقت رصاصة الوداع: «أظن أن المسكين رايان لم يكن يعلم ما ينتظره حين وافق على إقامة عرس كبير».

قالت فرجينيا بتعاسة: «جعلتني أشعر وكأنني باحثة عن الذهب».

أجابت جاينس:

ـ تلك الثرثرة عن نفقات العرس الكبير، كثيراً ما تصدر عنها. كانت ممثلة طموح مفلسة عندما أنشبت مخالبها في ستيفن، من المؤسف أنه تزوجها. كان رايان أعقل منه.

قالت فرجينيا باستغراب: «رايان؟».

ففسرت جاينس لها الأمر: «كانت صديقة رايان قبل ستيفن».

يبدو أنها انتبهت إلى أنها قالت الكثير فتابعت محاولة أن تخفف من

www.elromancia.com

وقع الأمر: «أمضيا وقتاً قصيراً معاً قبل أن تحوّل اهتمامها إلى ستيفن المسكين، فسلبته عقله. كيف يمكن أن يصبح الرجال بهذا العمى فيستعبدهم الوجه الجميل والقوام الرائع إلى هذا الحد؟».

ـ حسناً، ما دام سعيداً. . .

ـ لا أفهم كيف يمكن أن يكون سعيداً. ومنذ أحضرك رايان معه، أراهن على أنه لم يعد بإمكانه أن يعيش معها. وأظنها أدركت بعد فوات الأوان أنها اقترفت غلطة شنيعة، لأن الذي تريده حقاً هو رايان. وهذا هو السبب في غيرتها البالغة منك. في الواقع، أشعر أنها ما زالت تعتبر رايان رجلها هي. . . ولكن، دعينا ننساها. . ».

اختارت جاينس باقة من الأزهار الحريرية وضعتها على شعرها الداكن وسألت فرجينيا: «ما رأيك في هذه؟».

عندما تركت فرجينيا جاينس وصعدت إلى شقتها حاولت أن تواجه فكرة أن رايان ومادلين كانا حبيبين قبل أن تتركه وتتزوج ستيفن.

غاصت في الأريكة وهي تحدق أمامها من دون أن ترى شيئاً. وتساءلت عما جعل مادلين تتركه؟

ربما كانت جاينس على صواب. ربما أدركت مادلين، بعد فوات الأوان، أنها اقترفت غلطة شنيعة، لأن رايان هو حقاً من تريد.

واكتسحت فرجينيا موجة باردة، وامتلأ ذهنها على الفور بصورة رايان ومادلين وهما يتعانقان. لو كانت مادلين تحب زوجها ستيفن وتريده، هل كانت لتعانق رايان بكل تلك العاطفة المحمومة؟

والأهم من ذلك، لماذا سمح لها رايان بأن تعانقه فيما هو يعلم ما كان بينهما من قبل؟

ماذا لو أنه كذب عليها عندما أخبرها أنها هي التي عانقته وليس هو؟ ماذا لو أن المشاعر كانت متبادلة بينهما؟

ولكن لا، رجل مثل رايان لا يمكن أن يتصرف بهذا الشكل مع

زوجة أخيه. فافتضاح أمرهما سيدمّر الأسرة ويحطم قلب بيث، كما أنه هو نفسه سيتزوج بعد أيام معدودات.

لا يعقل أن يكون راغباً في مادلين حتى الساعة، وإلا لماذا طلب منها أن تتزوجه؟ وحتى لو كان حبهما عاصفاً، فإن رايان ليس بالرجل الذي يتزوج مندفعاً برد فعل.

* * *

أثناء الأيام التالية، بذلت فرجينيا جهدها لنبذ الشكوك من ذهنها. . . لكنها كانت تعود إليها مرة بعد مرة.

إنه يرغب بها، وهي واثقة من ذلك . . . ولكن هل يحبها حقاً؟ ورغم أنه كان يناديها (حبي) من وقت لآخر، وأنه سألها إن كانت تؤمن بالحب من أول نظرة، إلا أنه لم يقل لها قط (أحبك).

لعلها ليست المرأة التي يرغب فيها. وإذا كانت المرأة التي يريدها حقاً متزوجة من أخيه، ربما ستفي امرأة أخرى بالغرض!

أيمكنها أن تجازف وتسأله عن شعوره الحقيقي؟

لا، فسيضطر إلى أن يكذب. لا يمكنه أن يعترف بالحقيقة لأن ذلك يعرّض الأسرة إلى التفكك.

ولكن إذا كان لا يحبها ولا يرغب فيها، فلماذا اختار أن يتزوجها؟ ولماذا قرر أن يتزوجا في الكنيسة، وأصر على إقامة عرس تتحدث عنه الصحف؟

لا. لا بد أنها هي فرجينيا، من يريد. ومع ذلك بقيت الشكوك تعود زاحفة، وأخذ نوم فرجينيا يسوء.

وفي لهفتها لإخفاء قلقها، حاولت بشجاعة أن تتصرف بشكل طبيعي، لكن هذا فشل في إقناع رايان.

وعندما بدت ظلال قاتمة تحت عينيها، راح يسألها عما بها. مرّ بيده على رأسها قائلاً: «أنا واثق من أن ثمة خطب ما. لقد بت

أعرفك جيداً، وأعرف أنك تخفين جزءاً من نفسك، حتى عني. . لماذا لا تخبرني بما يزعجك؟».

وعندما بقيت صامتة، أصرّ عليها: «هل أنت خائفة من ألاّ أكون زوجاً صالحاً؟».

هزت رأسها نفياً.

ـ هل عليّ أن أخمن أم أنك ستخبريني بما يقلقك؟

وإذ رأت إصراره، قالت بيأس: «من المؤكد أن كل عروس تعاني من شكوك آخر لحظة».

حدق إليها متفحصاً بطريقة تتراوح بين النقد والتقويم، وسألها: «أحقاً؟».

تمسكت بهذه الفرصة وسألته: «والرجال ألا يعانون من مثل هذه الشكوك؟».

فقال بعنف تقريباً: «لا تدعي أي شكوك تمرضك. تذكري فقط أنك لي وأنني لن أدعك تتركيني أبداً».

نامت تلك الليلة نوماً عميقاً، ثم نهضت في الصباح التالي وهي تشعر بسعادة وثقة لم تشعر بمثلهما منذ علمت عن علاقة رايان ومادلين الماضية تلك.

مرت الأيام التالية حافلة، وقبل أن تنتبه، إذا باليوم السابق للزواج يطل.

تناولت الفطور في الصباح مع رايان. وقبل أن يذهب إلى مكتبه، عانقها وهمس بلهجة عاطفية: «أظن أن المرة القادمة التي سأراك فيها، ستكون في الكنيسة».

أصرّ ستيفن على أن يقيم لرايان حفلة توديع العزوبة التقليدية، بينما أقامت النساء سهرة في مارتندال. ظنّت فرجينيا أنها ستكون مع بيث وجاينس، لكن مادلين أعلنت أنها ستحضر أيضاً، فاختلف الأمر. لكن

السهرة كانت أكثر بهجة مما توقعت فرجينيا. وعندما انتهت ووصلن إلى برج فالكونر، كان المرح يتملكهن.

فرحت فرجينيا لأن حلمها بأن تكون جزءاً من أسرة سعيدة سيتحقق قريباً. وأحست بأنها تسير فوق الغيوم لفرط سعادتها.

وما إن خلعت سترتها حتى رن جرس الباب.

لم تكن الساعة قد بلغت الثانية عشرة، فهرعت إلى الباب تفتحه راجية أن يكون رايان.

ولدهشتها، وجدت أن القادم مادلين. دخلت الشقراء من دون دعوة، قائلة: «جئت لأخبرك مدى سعادتي بعرسك هذا ولأحضر لك هذه».

فتحت فرجينيا العلبة المسطحة فإذا بها ترى حمّالة جوارب جميلة من الدانتيل.

ـ ما أجملها! شكراً وسأعيدها لك حتماً.

لمعت أسنان مادلين الجميلة بابتسامة: «لا تقلقي، أنا دوماً أستعيد ما هو ملكي».

تملكتها الحيرة للهجة مادلين الغريبة هذه، لكنها قررت أن تتجاهلها، وقالت لها: «أنا مسرورة لأنك سعيدة بهذا العرس».

ـ رغم أنني أعلم أن رايان يفعل هذا من أجلنا، إلاّ أنني يجب أن أعترف أني شعرت أحياناً بالغيرة.

فقالت فرجينيا بحيرة: «لا أفهم».

ـ أتعنين أنه لم يخبرك لماذا يريد أن يتزوجك؟ لعله ظن أن من الأفضل ألاّ يفعل.

قالت فرجينيا بصوت لم تكد تعرفه: «أظنني سأعلم ذلك قريباً».

ـ حسناً، كنا، أنا ورايان، متحابين قبل أن أتزوج ستيفن. . .

ـ أعرف هذا.

بهتت مادلين للحظة، وما لبثت أن تابعت: «كانت علاقتنا محمومة، ولكن عندما تضطرم المشاعر، تضطرم معها الطباع. كان رايان مراوغاً بالنسبة إلى الزواج، فتشاجرنا. رحت أخرج مع ستيفن لكي أجعل رايان يذعن لفكرة الزواج. ولكن رغم أنه كان دوماً مجنوناً بي، إلا أنه بقي عنيداً للغاية. وتعلمت أنا الدرس، وهكذا رفضت الخروج مع ستيفن. وعندما تملكه اليأس وعرض علي الزواج، فكرت في أنني أكون مجنونة إذا لم أقبل..».

سكتت مادلين فجأة ثم قالت بحدّة: «لا حاجة بك إلى إظهار هذا الاشمئزاز. أعترف أنني ندمت ما أن تزوجنا. أدركت أنني اقترفت غلطة شنيعة، وأنني لن أنسى رايان أبداً..».

إذاً كانت جاينس على صواب.

ـ وذات ليلة، كان ستيفن في الخارج، فالتقينا أنا ورايان، والتهبت فينا المشاعر القديمة المحمومة. وعدنا حبيبين كما كنا، نجتمع في أي مكان يتوفر لنا، أحياناً هنا، وأحياناً في المدينة... ولكن بعد فترة، أراد رايان أن نتوقف عن ذلك خشية أن يشك أحد في أمرنا. فهو يخشى تكدير بيت والأسرة، أو التسبب بفضيحة.

فسألتها فرجينيا بصوت بارد كقلبها: «وما هي علاقتي أنا بذلك؟».

ـ فكر رايان أنه إذا تزوج، وأقام عرساً فسيتجنب خطر الفضيحة، ويرسم له صورة محترمة في المجتمع. بمعنى آخر سيكون هذا بمثابة ستار للتمويه. وما دمنا حذرين، فمن الذي سيشك في أن عريساً جديداً يعبث في الأنحاء مع زوجة أخيه؟

شعرت فرجينيا وكأنها تلقت لكمة في معدتها. كان الأمر منطقياً تماماً، فقد فهمت الآن الأمور التي كانت تحيرها. لماذا دفعها إلى قبول الزواج منه بسرعة، ولماذا كان حريصاً على أن يخبر الأسرة؟ ولماذا

أصرّ على إقامة عرس فخم. ولماذا لم يقل لها قط إنه يحبها..؟

هتفت فرجينيا بصوت أبح: «إذا ظننت لحظة واحدة أنني سأوافق على هذا فأنت مجنونة...!».

ـ لا أرى ماذا ستخسرين. ستحصلين على كل ما تزوجت رايان من أجله. كما إنّ رايان رجل بما يكفي ليتمكن من إسعادنا، نحن الاثنتين.

فصرخت فرجينيا بها: «أخرجي من هنا. خذي هذا وأخرجي».

ودست حمّالة الجوارب في يد مادلين وفتحت لها الباب.

استندت فرجينيا إلى الباب المغلق وهي تشعر بضغط حول رأسها أشبه بعصابة من حديد. وعندما خف شعورها بالغثيان قليلاً، استدعت سيارة أجرة بصوت لم تعرف أنه صوتها، وبكيان أثقله العذاب سارت إلى غرفتها لتحزم أمتعتها.

تجاهلت الحقائب التي سبق وحزمتها لشهر العسل ولم تجمع سوى الثياب التي جاءت بها معها.

تركت خاتم الخطوبة وكل ما دفع رايان ثمنه، وحملت معها فقط النقود التي كسبتها من عملها. وبعينين جافتين وقلب منقبض، أغلقت باب شقتها خلفها، ثم هبطت بالمصعد.

لقد انتهى حلمها.

أسرعت تعبر الردهة، ثم وضعت حقيبتها على الأرض ريثما تفتح الباب. وبعد ذلك بلحظة كانت تتسلل دون أن يراها أحد ثم تسرع إلى سيارة الأجرة لتقول للسائق: «إلى المطار من فضلك».

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ سامحيني!

عادت فرجينيا إلى الحاضر وهي ترتجف، شاعرة باليأس والوحشة.

وبعد لحظة سألها تشارلز، وما زال الاهتمام بادياً على وجهه الأشقر: «وماذا فعلت بعد ذلك؟».

ـ بقيت في المطار حتى الصباح، ثم استطعت أن أحصل على مقعد إلى مطار هيثرو. وفي الوقت الذي كان عليّ أن أكون فيه في الكنيسة، كنت في منتصف الطريق إلى لندن. وفي لندن نزلت في فندق، وصباح الاثنين رحت أبحث عن عمل. وأنت تعرف الباقي.

فقال مقطباً جبينه: «لم تذكري أنك تركت ملاحظة لهم».

ـ لم أترك شيئاً.

ـ أتعنين أنك رحلت من دون أن تقولي لأحد؟

ـ نعم، أظنني كنت في حالة صدمة. وماذا كنت سأقول؟ وما هو العذر الذي يمكن أن أقدمه؟ الحقيقة كانت ستمزق الأسرة، وبيث المريضة.

ـ ألم تفكري في مصارحة فالكونر؟

فهزت رأسها: «لم أستطع احتمال الذل، لم أشأ أن أراه مرة أخرى».

ـ أفهم من هذا أنك ما زلت تشعرين بهذا الشكل.

ـ نعم، ولهذا لم أشأ أن يعرف والداي عنواني هنا. فقد يخبرونه به.

ـ فهمت. هل لهذا السبب أسقطت من اسمك كلمة آدامز، وجعلته فرجينيا آشلي؟

ـ نعم.

وأضافت بقنوط: «بدأت لتوّي أشعر بالأمان. كانت صدمة مخيفة أن أراه في المعرض».

قال تشارلز بعطف: «لاحظت أن تأثير حضوره عليك كان عميقاً للغاية. في الواقع تساءلت عما إذا كنت تحبينه».

قالت وهي تحاول أن تقنع نفسها بأنها الحقيقة: «لا أدري بالضبط».

فقال تشارلز جاداً: «لكن يبدو أن فالكونر لم يرك».

فعضت شفتها: «بل رآني مع الأسف».

فسألها بحدة: «وكيف عرفت؟».

ـ عدت إلى البيت عبر الحديقة، وكان هو ينتظر فتبعني.

توتر فم تشارلز: «هل تحدّث إليك؟ لم يلمسك، أليس كذلك؟ لو فعل لكسرت رقبته».

هذا النوع من التهديد العنيف لم يكن من عادة تشارلز رينور العملي، وتملكها الخوف من أن يصطدم برايان، فقالت متلعثمة: «ل. . لا في الحقيقة. أعني أنه وضع يديه على عينيّ وقال: خمني من أنا؟».

ـ لكنه أفزعك؟

ـ نعم، أفزعني. قال. . .

واهتز صوتها فسكتت لكي تأخذ نفساً مهدئاً قبل أن تتابع: «قال إنه يريدني أن أعود إليه». .

www.elromancia.com

تصلب جسم تشارلز: «يريدك أن تعودي إليه؟ بعد معاملته الحقيرة تلك؟ لماذا يريد استعادتك؟».

ـ كان بالغ الغضب لأني تركته وأفسدت كل خططه. قال إن هناك حساباً بيننا يريد أن يصفيه.

شبكت ذراعيها على صدرها وأخذت تدعكهما وكأنها تشعر ببرد: «أخبرته أن لا نية لديّ في الرجوع إليه على الإطلاق».

ـ لا يبدو لي فالكونر من الرجال الذين يقبلون كلمة(لا).

ـ هذا صحيح.

وابتلعت ريقها بصعوبة، ثم قالت بسرعة: «ولهذا أخبرته أننا نسكن معاً. أرجو ألاّ يكون لديك مانع».

ـ كلا، طبعاً أنا لا أمانع.

وبعد لحظة سألها بحذر: «وهل تخلصت منه أخيراً؟».

ـ ليس تماماً...

ـ وكيف طردته إذن؟

ـ وقع صبي صغير في البحيرة. وفيما كان رايان يخرجه من الماء، هربت وأخذت سيارة أجرة إلى البيت.

ثم قالت بلهفة: «تشارلز، لا أريد أن أعود إليه».

فربّت على يدها: «أنا مسرور جداً لسماع هذا. لا حاجة بك إلى هذا الخوف، فهو لا يستطيع أن يرغمك على ذلك».

ـ لا. هذا ما أحدث به نفسي دوماً.

سكت يفكر لحظة، ثم قال: «أظن أن رؤيتك لفالكونر مرة أخرى جعلتك تغيرين رأيك بالنسبة إلى الزواج مني؟».

فقالت بصوت خافت: «نعم».

ـ إذن يجب أن أحمد الله لأنه أرسله إلى معرضي ومنحك فرصة لتدركي أنك لم تعودي تحبينه...

تملك فرجينيا إحساس قوي بالعار، إلاّ أنها لم تقل شيئاً. وتابع هو: «والآن، بعد أن عرفت حقيقة شعورك ستتمكنين من أن تنبذيه من ذهنك... وسيعود هو إلى بلاده بسلام».

عضت شفتها شاعرة بالاضطراب والذنب لأنها لم تخبر تشارلز الحقيقة كلها. ثم قال بهدوء وعيناه على وجهها: «ثمة شيء يزعجك. أتودين أن تخبريني به؟».

فانفجرت تقول: «وماذا سأفعل إلى أن يعود إلى بلاده؟ بإمكانه إن يدخل المعرض في أي وقت».

ـ ستأخذين عطلة، وإذا جاء، فسأتصرف معه.

وإذ رأى الشك على وجهها، سألها: «ماذا حدث؟ ألا تظنينني قادراً على التصرف مع رجل مثل فالكونر؟».

فقالت بثقة أكبر بكثير مما تشعر بها: «أنا واثقة من قدرتك على ذلك».

ـ ما المشكلة إذن؟

كانت هناك مشاكل كثيرة. وتذكرت سخرية رايان وهو يقول لها: (سأراك في ما بعد) فارتجفت.

ولكن إذا بقيت في البيت ورفضت أن تفتح له الباب، ستكون آمنة تماماً. فهو لن يكسر الباب.

وقال تشارلز: «دعينا ننسى فالكونر ونعود إلى موضوع أجمل. قلت إنك ستكونين أسعد بعرس هادىء؟».

ـ نعم.

واشتدت ذراعه حولها وهو يقول بصوت عميق: «سأبذل جهدي لكي أسعدك».

وعندما عانقها، حاولت أن تسترخي وتستمتع بذلك.

لم تشك في أنه سيكون عاشقاً لطيفاً حساساً، وقد يساعدها هذا

www.elromancia.com

على إخراج رايان من قلبها.

شدها إليه في عناق بث فيه الكثير من مشاعر الحب والود اللذين يكنهما لها، فوضعت ذراعيها حول عنقه وأرغمت نفسها على أن تتجاوب معه.

بعد قليل تمتم تشارلز يقول: «ما أجملك! ناعمة رقيقة وامرأة حقيقية. لم أتأثر قط بامرأة كما تأثرت بك».

ليتها تفقد نفسها في عناقه الدافىء! وبدلاً من ذلك، كان عقلها يقف محايداً يراقب ما يجري بهدوء، معتبراً إياه محنة يجب أن يطيقها، لا أن يستمتع بها.

وفجأة، تركها وتراجع إلى الخلف، وبدا على وجهه الارتباك والحيرة: «ماذا هناك، يا فرجينيا؟».

ـ أنا آسفة حقاً. كان هذا النهار صعباً ومؤذياً بحيث أنني... فقط...

واغرورقت عيناها بالدموع. رقّ وجهه على الفور: «يا إلهي، كان عليّ أن أدرك أنك ما زلت مضطربة متكدرة. سامحيني».

تملّكها شعور بالخجل لمعاملتها له، فوجدت نفسها تكرر بعجز: «آسفة».

ـ لا بأس بهذا، صدقيني. ما كان لي أن أستعجلك.

وبعد لحظة، أضاف: «عندما يرحل فالكونر، ونتزوج نحن، كل شيء سيكون على ما يرام. أتعهد لك بذلك».

* * *

عند الصباح تناولا الفطور معاً، قبل أن يستعد تشارلز للذهاب إلى المعرض، لكن وحده هذه المرة.

بدا في عينيها الجميلتين مبلغ الضياع الذي شعرت به فجأة، وقالت بتردد: «لا أدري ما الذي سأفعله طوال النهار».

ـ لماذا لا تخرجين إلى المدينة؟

لا، إنها لا تجرؤ على ذلك. ربما وضعها رايان تحت المراقبة.

أدركت مدى اهتمام تشارلز بها، فقالت ببشاشة: «ربما سأقوم ببعض التنظيفات في البيت».

ـ أنا أدفع أجراً للسيدة كرابتري لتقوم بذلك. إذا بقي الجوّ مشمساً ودافئاً، فعليك أن تحضّري لنفسك شراباً ثم تجلسي في الحديقة لتتمتعي بأشعة الشمس.

هتفت وقد تحسّنت نفسيتها قليلاً: «ما أجمل هذا وكم هو شاعري! لن أفعل سوى ذلك».

ثم أضافت: «أتعلم ماذا؟ سأطهي لك عشاء لذيذاً، الليلة».

ضحك لمظهرها الطفولي وقال: «رائع».

وقفت تحدق في الباب بعد خروجه وقد تملكها شعور بالضياع. أمامها النهار بطوله خالياً موحشاً لا شيء يشغلها فيه سوى التفكير في رايان...

كانت على وشك فتح الثلاجة عندما رن جرس الهاتف. لا بد أنه هو.

لا، يبدو أنها أصبحت موسوسة حقاً، لأن رايان يظنها الآن في المعرض. في الواقع، الشخص الوحيد الذي يتوقع أن تكون في بيتها في مثل هذا الوقت، هو تشارلز.

تناولت السماعة: «آلو؟».

كان هذا تشارلز الذي قال بحيوية غير عادية: «تحدثت إلى الكاهن بيتر فاقترح طلب رخصة خاصة للزواج. وبهذه الطريقة يمكننا أن نتزوج خلال أيام قليلة».

وبدلاً من أن يكون هذا الزواج وعداً بمستقبل مشرق، إذا به يصبح فجأة سيفاً مسلّطاً فوق رأسها.

www.elromancia.com

ـ الكنيسة محجوزة ليوم السبت، يمكننا أن نتزوج الإثنين إذا كنت توافقين.

الإثنين يعني أقل من أسبوع.

ورغم أن فرجينيا ما زالت واثقة من أنها تقوم بما هو صائب، إلاّ أنها فكرت في أن هذا العرس مستعجل جداً.

وبعد تردد بسيط، قالت: «نعم..».

لكنه لاحظ ترددها: «يبدو أنك لست واثقة تماماً».

تنفست فرجينيا بعمق: «نعم، أنا واثقة تماماً، الإثنين مناسب جداً».

وسمعته يتنفس بارتياح.

ـ علينا أن نتحدث عن شهر العسل. فكري أين تريدينه أن يكون.

كيف يمكنها أن تخطىء نحو زوج كهذا؟ وإذا به يتابع: «الديّ اتصال هاتفي. سأحاول ألاّ أتأخر في المساء..».

وضعت السماعة وعادت إلى المطبخ لتخرج من الثلاجة قطع الدجاج استعداداً لتحضير العشاء.

وبعدئذ، صبت كأس عصير، قبل أن تغير ملابسها، وترفع شعرها الطويل الجعد.

حملت كأس العصير مع كتاب لم تكن قد قرأته بعد، ثم توجهت لتجلس في الشمس حافية القدمين.

كانت الحديقة معزولة عالية الأسوار، والطريق الوحيد للدخول إليها هو من المنزل. لذا، فهي آمنة تماماً.

ورغم أن الكتاب مثير، إلا أنها لم تستطع التركيز عليه. كان وجه رايان الأسمر يطل من بين أوراقه وصفحاته. ووجدت فرجينيا نفسها تتساءل بقلق عما سيفعله الآن..

ـ صباح الخير. هل نمت جيداً؟

وكأنما جسّدته أفكارها، رأته يقف عند عتبة باب المطبخ، وهو يرتدي بنطلوناً أسود أنيقاً وقميصاً أبيض مفتوحاً عند العنق.

كانت المفاجأة كبيرة بحيث قفزت واقفة، مسقطة الكأس التي كانت بيدها لتتحطم على الأرض الحجرية ويتناثر العصير عليها.

أطلق صفرة قوية، وقال: «تباً! لا تتحركي لئلا تدوسي على قطع الزجاج المتناثرة».

لكن تحذيره جاء متأخراً. وصدرت عنها صرخة صغيرة عندما دخلت شظية من الزجاج في إبهام رجلها.

ـ أجلسي ودعيني أراها.

ودفعها برفق إلى مقعدها، ثم جلس القرفصاء ورفع قدمها النحيلة وسحب منها قطعة الزجاج الحادة. فتدفقت مكانها قطرات من الدم الأحمر.

وبعد أن تأكد من نظافة الجرح، قال ببشاشة: «هذا حسن».

بقي ممسكاً بقدمها وهو ينظر إليها من تحت أهدابه الكثيفة التي تحسده عليها النساء، ثم قال هازلاً:

ـ أنت الوحيدة التي عرفتها من بين النساء، تملك قدماً رائعة الجمال كهذه. والآن ابقي حيث أنت كيلا أضطر إلى القيام بمثل هذا العمل مرة أخرى.

سار إلى المطبخ ثم عاد بمكنسة، وأخذ يكنس قطع الزجاج بدقة بالغة.

ـ رأيت في المطبخ مزيداً من الليموناضة في الإبريق. سأسكب كأسين لي ولك لنشرب معاً.

كانت لا تزال تحاول أن تستجمع شتات نفسها، وحين عاد بكأسين وضعهما على المنضدة المنخفضة، ثم تهالك على المقعد بقربها، وسيماً وخطيراً كأحد القراصنة.

www.elromancia.com

بوقاحة باردة، أخذت نظراته تتأمل جسدها من رأسها حتى أخمص قدميها، مما جعلها تخجل من ساقيها العاريتين.

تأمل السروال القصير القديم والقميص القطني وشعرها المربوط، ثم قال ساخراً: «تبدين بملابسك هذه وكأنك تلميذة في الخامسة عشرة من العمر».

وبعد أن استعادت قدرتها على الكلام، قالت بصوت عميق: «لكنني لست كذلك. أنا في الخامسة والعشرين تقريباً».

ـ لم يتغير فيك شيء.

انتبهت إلى اللهب الضئيل الذي بدا في عينيه، فسألته: «ما الذي تفعله هنا؟ ماذا تريد؟».

ثم أضافت باضطراب: «كيف دخلت البيت؟».

إبتسم لذعرها الظاهر وأجاب: «من الباب الأمامي. كأي زائر محترم».

ـ يلزمك مفتاح.

ـ لدي واحد.

أخرج مفتاحاً من جيبه، فسألته بحدة: «من أين أحضرته؟».

فأجاب من دون خجل: «استعرته من حقيبة يدك الليلة الماضية».

تذكرت، بعد فوات الأوان، كيس نقودها الذي سقط أرضاً ووجدته قرب الهاتف. أضاف رايان وهو يرى الغضب في عينيها: «كنت أرجو ألاّ تفتقديه، فالمفاجأة دوماً سارة. وأنا أجدها دوماً مفيدة في تضليل الخصم».

فانفجرت غاضبة: «هل عليك أن تبدو بهذا الغرور؟».

هز رأسه باستياء: «يا لطبعك!».

أدركت أنها إذا استمرت بابتلاع الطعم سوف يثور طبعها وتصبح لعبة بين يديه، فجاهدت لاستعادة هدوئها.

وعندما وثقت بصوتها، قالت: «لا أدري ما الذي ستستفيده من هذا كله، فأنا لا أنوي العودة إليك».

ـ نعم، سبق وقلت هذا، وهذا هو أحد أسباب وجودي هنا، وهو أن أحاول تغيير رأيك.

ـ كيف علمت أنني في البيت؟

ـ زرت المعرض هذا الصباح وتحدثت إلى تشارلز رينور.

جمد الدم في عروقها، بينما تابع: «عليّ أن أعترف بأنني كنت مخطئاً بحقه، فهو ليس ضعيفاً على الإطلاق، فقد واجهني بثبات واتزان ما أرغمني على الإعجاب به..».

رأى الرعب على وجهها فابتسم بهزل جاف: «لكي أريح بالك، عنيت بالمواجهة، شفهياً وليس جسدياً..».

لكن مواجهته رايان، لم تكن عملاً سهلاً. فهي تعلم جيداً كيف يستطيع أن يرهب أقوى الرجال تقريباً.

ـ وهكذا، أنت لست بحاجة إلى تضميد جروحه.

لم تعبأ بتهكمه وسألته بقلق: «ماذا قلت له».

فقال رايان ببرودة الثلج: «أقل مما قاله بكثير. وما قاله كان مفيداً للغاية».

وانتظرت فرجينيا حابسة أنفاسها. وبعد لحظة، تابع رايان يقول: «دعاني بالخنزير والحقير، وأخبرني أنه إذا تمكن من أن يشتري لوحة(صبية الأربعاء) فلن يدعني أحصل عليها، لذا لا حاجة بي إلى زيارة معرضه».

ـ هل هذا كل شيء؟

ـ لا. بحسب قوله، أنا أحزنتك بما يكفي. فهمت أن المناسبة الوحيدة التي يعرفها حقاً هي مزاحنا في الحديقة العامة.

فقالت باستياء: «لم يكن ذاك مزاحاً».

www.elromancia.com

فتابع متجاهلاً مقاطعتها له: «لو كان يعلم أنني أعرف مكان سكنك، وأني جئت إلى البيت في الليلة الماضية لما تركك في البيت قط، وحدك. . ».

ثم سألها بصوت لاذع كالسوط: «لماذا لم تخبريه عن زيارتي؟».

ـ لم. . . لم أشأ أن أكدره.

فقال بشماتة: «سيشعر بكدر أكبر لو علم أنني هنا الآن».

سألته، محاولة أن تسيطر على الوضع: «ولماذا أنت هنا؟عدا عن محاولتك تغيير رأيي؟».

فقال بكسل وقد ضاقت عيناه بسبب الشمس: «فكرت في أخذك لتناول الغداء».

ـ ليس في نيتي أن أتغدى معك.

فقال دون أن يرف له جفن: «كما تشائين. لسنا مضطرين للخروج. وأرى أنك محقة، وجودنا هنا أكثر متعة».

عضت فرجينيا شفتها وهي تدرك متأخرة، أن من الأسلم أن يتناولا الغداء في مكان عام، من أن تبقى معه هنا وحدهما.

وتضاعفت خشيتها عندما أضاف: «سيمنحنا هذا وقتاً وافراً لكي. . . نطلق العنان لشهيات أخرى؟».

ودفعها الاضطراب إلى الوقوف: «سأتزوج تشارلز. وإذا وضعت إصبعك عليّ، فسوف. . . سوف. . ».

ـ سوف تفعلين ماذا؟

وتقدم منها خطوة، فتراجعت حتى الجدار حيث تبعها رايان ووضع يديه على الجدار حول رأسها ما جعلها محجوزة بينهما: «أخبريني يا فرجينيا. . . هل حلمت بي بعد أن تركتك الليلة الماضية؟».

فقالت بعنف: «لا، لم يحدث هذا. أخبرتك أن لا حاجة بي لذلك».

بدا التوتر على وجهه وسألها بحدة: «هل حلمت برينور؟».

لم تجبه بل اكتفت بالنظر إليه بغضب.

وضع رايان إصبعه تحت ذقنها ثم رفع وجهها يتأمله: «هل فعلت ذلك؟».

ـ هذا ليس من شأنك.

سمعت أنفاسه من بين أسنانه: «من الآن فصاعداً سأكون الرجل الوحيد في حياتك. لقد انتظرت طويلاً لكي. . ».

وهمس لها بكلمات أثارت رجفة في كيانها، وحين جاهدت لتبدو غير متأثرة، سمعت ضحكته الخفيفة: «أنت تتجاوبين بشكل رائع، يا صغيرتي، فقد بدت ردة الفعل على جسدك. . ».

وكان هذا صحيحاً. ومدّ يده يلامس خدها بأصابعه، مرسلاً الشوق في نفسها، قبل أن يسألها بنعومة: «ماذا يعني هذا إذن؟ إلى متى تستطيعين الصمود؟ حسناً، ماذا قلت بشأن غدائنا في الخارج؟».

فأجابت بقنوط: «نعم».

أمسك بذراعيها وقال بخفة: «يجب أن أعترف أني أفضّل أن نقوم بأشياء أكثر متعة لكن يمكنني أن أنتظر. فقد انتظرت أكثر من سنتين، وعدة أيام أخرى لن تشكل فرقاً كبيراً. والآن، اذهبي وارتدي ملابس أفضل لكي نخرج».

تركها ثم عاد ليجلس.

هربت فرجينيا إلى غرفتها وهي تتساءل بتعجب إلى أي مدى سيصل لكي ينال ما يريد.

أول فكرة خطرت لها هي أن تحجز نفسها في الغرفة، لكنها عادت فأدركت سخافة تلك الفكرة. ودخلت الحمام رغماً عنها لتغتسل وتجفف نفسها بسرعة، ثم ارتدت بذلة رمادية تلبسها عادة أثناء العمل، ووضعت لمسة خفيفة من الزينة على وجهها لترفع معنوياتها، كما

www.elromancia.com

سرّحت شعرها بشكل أنيق، ووضعت النظارة لتخفي عينيها وراءها. وهكذا عادت مرة أخرى امرأة عاملة وليس تلميذة في الخامسة عشرة في عمرها كما قال رايان. بقي لديها دقائق عدة من الوقت الذي حدده لها، ففكرت في أن تأخذ حقيبة يدها وتخرج متسلّلة إلى الشارع ثم تستقل سيارة أجرة وتهرب، قبل أن يدرك ما حدث!

حبست أنفاسها وهبطت السلم بحذر، ثم وصلت إلى الردهة لتأخذ حقيبة يدها. لكنها لم تجدها.

حسناً، ستطلب من السائق أن يأخذها إلى المعرض حيث تستدين الأجرة من تشارلز، حتى ولو اضطرت لأن تخبره الحقيقة كاملة.

كانت يدها على أكرة الباب، عندما سمعت صوت رايان الساخر: «أتحاولين أن تتسللي هاربة؟».

قفزت مجفلة، واستدارت لتراه مالئاً باب غرفة الجلوس بقامته المديدة.

ـ من حسن الحظ أنني كنت حذراً.

فتمتمت بعجز: «تباً لك!».

فتقدم نحوها ووقف ينظر إلى مظهرها ثم تمتم وفي عينيه لمعان ساخر: «ما هذا؟... ما كل هذا التحفظ والمظهر العملي؟».

ـ أنت قلت (ملابس أفضل).

ـ مظهرك هذا لا يناسب إلا العمل... على أيّ حال، هذا يصلح لبعض الوقت. منذ متى تضعين هذه النظارات الفظيعة؟

فقالت بجفاء: «منذ فترة. ولا أظنها فظيعة».

رفع النظارات عن عينيها ونظر من خلالها: «أنت لا تحتاجين إليها، لأنها مجرد زجاج عادي».

وألقى بها على منضدة الردهة دون اهتمام وهو يضيف قائلاً: «فات

أوان التنكر».

وقبل أن تعترض، كانت أصابعه تنزع الدبابيس التي تثبت شعرها. وعندما أسدل شعرها البنيّ على كتفيها قال منتصراً: «هذا أحسن. على الأقل لم أعد أبدو وكأنني أتناول الغداء مع معلمة مدرسة».

فانفجرت قائلة: «اذهب إلى الجحيم».

تنهد بكآبة: «والآن، هل هذا قول لطيف منك؟ وأظن أن جرحك لشعوري سيجعلك تعانقيني بشكل أفضل».

فوجئت بكلامه فكادت تضحك. كان دوماً جذاباً لا يمكن مقاومته حين يتصرف كمهرج. قال يستعجلها: «أسرعي لأن السيارة في الانتظار في الخارج».

ـ لا أريد أن أعانقك.

لكن الإغراء تملّكها بشكل حاد فظهر ارتجاف واضح في صوتها.

ـ سأعانقك أنا إذن.

ـ لا أريدك أن تعانقني.

ـ بل تريدين، لكنك لا تريدين الاعتراف بذلك.

أطبقت عليها ذراعاه، كان بإمكانها أن تتنصل منه، لكنها وقفت مسمّرة مكانها.

كانت تسمع خفقات قلبه... أم لعله قلبها؟ واشتمت شذا عطره الرجولي...

أثار فيها عناقه تلك المشاعر الحميمة القديمة التي عرفتها معه. وسألها بصوت ممزّق: «أتريدين أن تغيري رأيك بالنسبة إلى الخروج لتناول الغداء؟».

وبشكل ما، أجابت: «لا، لن أغير رأيي».

فقال بأسف: «لقد وقعت في الحفرة التي حفرتها».

لكنها أحست أن هذا ما يريدها أن تقوله، وكأن خروجهما إلى الغداء معاً هو جزء من خطة أكبر وأهم.

***

٧ ـ أبعد من الكلمات

رافقها إلى حيث كانت سيارته الليموزين تنتظر، وساعدها على الصعود، ثم جلس بجانبها. تناول سترة كانت ملقاة على المقعد فلبسها، ثم أخرج من جيبه ربطة عنق وضعها حول عنقه وهو يقول ساخراً: «يجب الاهتمام بالتفاصيل».

عندما وصلا إلى مقصدهما الذي لا يبعد عن المعرض، كانت فرجينيا قد تمالكت نفسها.

ورغم أن المطعم بدا لأول وهلة، مزدحماً، إلا أن رايان استقبل بالترحيب. فقالت بجفاء: «لا تقل لي إن لديك حصة في هذا المطعم».

مرة أخرى شعرت بجاذبيته الساحقة وهو يقول بابتسامة عريضة: «ليس هذه المرة، مع الأسف. ولكن صاحبه صديق لي».

ـ يا لحسن حظك!

فقال والدعابة تطل من عينيه: «ألا ترين ذلك؟».

شعرت فرجينيا بحيويتها تزداد، وكادت تحسّ بمتعة حقيقية عندما تذكرت الماضي فجأة، وما يحاول أن يفعله، فارتجفت وقد أدركت أنها أوشكت أن تستعيد مودتها له.

حرص رايان على أن يكون الحديث بينهما مرحاً مسلياً. لكنها كانت تجيبه باختصار، متقوقعة على نفسها، رافضة أن تخرج عن تحفّظها.

www.elromancia.com

وأخيراً سألها: «هل هنالك خطب ما؟».
فسألته ساخرة: «وماذا يمكن أن يكون ذلك؟».

ـ لإنك ما أن تصبحي منفتحة قليلاً، حتى تتملكك الحدّة فجأة وتتوتر أعصابك! لماذا لا تحاولين الاسترخاء وبهذا نستمتع بغدائنا معاً.

ـ لعلك أقنعتني بتناول الغداء معك، لكن هذا لا يعني أن أستمتع به.

هز كتفيه ولاذ بالصمت. لكنها انتبهت إلى أنه يراقبها على الدوام وكأنه لا يستطيع إبعاد بصره عنها.

كان الطعام جيداً لكنها كانت تأكل بشكل آليّ، ولا تكاد تجد لذة في ما تأكله بسبب التساؤلات التي تشغل ذهنها.

بعد ذلك العناق المحموم في الردهة، لا بد أن رايان أدرك أن بإمكانه أن يحرك فيها مشاعر عميقة، فلماذا قدم لها فرصة التراجع؟

إنها طبعاً ممتنة لذلك، لكنها تتساءل عن السبب. لماذا صمّم على أن يتناول الغداء معها خارج البيت؟

سمعته يطرح سؤالاً فرفعت رأسها بحدة: «عفواً؟».

ـ سألتك متى قررت الزواج من رينور.

فقالت متشجعة: «هل أخبرك تشارلز أننا سنتزوج؟».

ـ أخبرني أنكما تخططان لذلك.

تذكرت ما قاله رايان من قبل (فوق جثتي)، فأجفلت: «أن... أنت لم...؟».

ـ لم أضربه؟ لا، طبعاً لم أضربه. أنذرته فقط إذا هو لم يتراجع.

وضعت يدها على فمها. فقال: «وماذا توقعت مني أن أفعل؟ أهشه؟».

وعندما لم تقل شيئاً، أصرّ قائلاً بنعومة: «وهكذا، أخبريني يا

فرجينيا، متى قبلت عرض رينور للزواج؟».

وفكرت فرجينيا بمرارة في أن رايان لا تفوته كذبة تكذبها. فقالت بحذر: «لقد طلب مني الزواج منذ أسابيع».

ـ وهل وافقت على الفور؟

ـ طبعاً، فأنا أحبه!

بدا المكر في عينيه، وقال هازلاً: «أنت تكذبين بشكل سيء».

ـ أخبرتك في الحديقة العامة أننا، أنا وتشارلز، سنتزوج.

ـ لا، لم تقولي هذا. بل قلت (إنه يريد أن يتزوجني) وهذا مختلف تماماً. لماذا لا تكونين صادقة وتعترفي بأنك رفضته عندما طلب منك الزواج أول مرة، ثم وافقت بعد ما حدث الليلة الماضية.

فأنكرت قائلة بجرأة: «لم أفعل هذا».

ـ لا تزعجي نفسك بمزيد من الأكاذيب، فقد اعترف رينور بأنك وافقت على الزواج به الليلة الماضية فقط. وهذا ينبئني بأمور كثيرة... رغم أنه وضع لذلك تفسيراً مختلفاً. فهو يعتقد أنك وافقت على الزواج منه بعد أن اكتشفت أنك لم تعودي تحبينني. هل سيبقى سعيداً بهذا الشكل لو أدرك أنك تستعملينه كمجرد حارس أمني لك؟

ـ لا. الأمر ليس بهذا الشكل، فأنا أشعر نحو تشارلز بمعزّة بالغة، وأنا أحترمه. وهو سيكون زوجاً وأباً جيداً.

ـ إذن فقد تحدثتما عن إنشاء أسرة؟

ـ نعم.

ـ وكم طفلاً قررتما أن تنجبا؟

ورغم أنها أدركت جيداً أنه يسخر منها، إلاّ أنها أجابته: «أربعة».

ـ وهكذا قبلت الزواج منه، وخططتما لإنجاب أطفال، لكن من الواضح أنك لا تحبينه بشغف.

ـ هل أخبرك هو بذلك أيضاً؟

www.elromancia.com

ـ لم يكن بحاجة إلى ذلك. عدا عن ملاحظات عدة كشفت ذلك تماماً، أنا أعرف الرجل المحبط بمجرد النظر إليه. إنه مجنون بك تماماً، وسرعان ما سيبدأ في الضغط عليك.

فقالت بعنف: «كما فعلت أنت».

ـ آه، لكن ثمة فرق.

ـ أيّ فرق؟

فقال بنعومة: «أنت أحببتني وما زلت تحبينني كما أحبك تماماً. أما معه، فثمة مودة ليس أكثر».

ـ وما الذي يجعلك واثقاً إلى هذا الحد؟

ـ لو كنت تحبين تشارلز حقاً لوافقت على الزواج به قبل الآن.

ـ لقد سبق وأخبرتك. . .

ـ لقد أخبرتني بذلك حقاً، وهكذا لا تزعجي نفسك بأن تخبريني مرة أخرى كم هو حبيب رائع. أنا لا أعتقد أنك تحبينه حقاً، لكن موافقتك هي مجرد هروب.

فقالت ساخرة: «متى أصبحت طبيباً نفسياً؟».

ـ اكتشاف هذا لا يحتاج إلى طبيب نفسي. إنها مسألة واضحة جداً ولا مجال للخطأ فيها.

ـ أي نوع من الخبرة تحتاجها لتكتشف أنك تضيّع وقتك؟

وتابعت تقول: «وماذا يهمك إذا أنا تزوجته، فأنا لن أعود إليك؟».

قال بثقة هادئة: «في هذه النقطة، أنت مخطئة. لكننا ستتحدث عن ذلك فيما بعد».

وبعد أن ألقى نظرة على ساعته، أشار إلى النادل ودفع الحساب. قادها نحو الباب وذراعه تلتف حول خصرها. أما هي فمشت مطأطئة الرأس، وهي تفكر كيف يمكنها أن تهرب منه، عندما توقف قال برقة

وبصوت غريب: «فرجينيا».

رفعت نظرها إليه، فانحنى وعانقها.

لم يكن رايان من النوع الذي يطلق العنان لعواطفه في مكان عام، فتملكتها الدهشة ووقفت جامدة حتى رفع رأسه وعاود سيره.

ولأن ذراعه كانت تمسك بخصرها، سارت كما يسير الشخص أثناء نومه، إلى أن نبهها بفظاظة، فرأت رجلاً أشقر يحدق إليها وكأنه لا يصدق عينيه.

كان تشارلز يجلس إلى مائدة تبعد عدة أقدام، برفقة رجل أصلع.

عندما أصبحا بموازاته، تسمّرت نظرات تشارلز عليهما، فنهض واقفاً بحركة آلية، فيما كفّ مرافقه عن الكلام وأخذ ينظر إليهما.

أومأ رايان محيياً بأدب: «مرحباً يا رينور».

فأجاب تشارلز متصلباً: «مرحباً فالكونر».

قال رايان ببساطة: «حيث أنك كنت مشغولاً، فكرت في أن آخذ فرجينيا إلى الغداء».

فقال تشارلز وهو ينظر إلى عروسه بذعر واتهام: «فهمت أنك ستبقين في البيت».

فقالت: «هذا ما كنت أنويه، ولكن. . .».

قاطعها رايان بابتسامة ونظرة جانبية أظهرتهما وكأنهما متآمران: «إن لدي موهبة كبرى في الإقناع، أليس كذلك يا حبي؟».

نظرت إلى تشارلز الذي تجمّد لسماعه هذه الكلمة، وقالت متلعثمة: «أنا. . . أنا. .».

فاعتصر رايان ذراعها: «استغرق ذلك بعض الوقت لكن عندما. .».

شعرت بالذعر خشية أن يشرح بالضبط طرق الإقناع التي استعملها معها، فقاطعته بسرعة: «ألا ينبغي أن نذهب الآن؟».

www.elromancia.com

فقال على الفور: «أنت على حق. علينا أن نذهب».

بعدئذٍ كانت ذراع رايان المتملكة تلتف حول خصرها لتدفعها نحو الباب. التفتت فرجينيا إلى الخلف فرأت أن تشارلز ما زال واقفاً على قدميه وهو يترنح كملاكم ثمل.

دار رأسها، ولم تعد قادرة على التفكير. وبينما كان المصعد يهبط بهما، حاولت أن تستوعب ما حدث، وكل ما تضمنه ذلك المشهد الصغير وما حدث قبله.

كانت تتساءل عن السبب الذي جعل رايان يلحّ عليها لتناول الغداء، ولماذا عانقها في هذا المكان العام، وها قد وجدت الجواب الآن. كان على علم أن تشارلز سيتواجد هنا، فدبر كل هذا ليسبب له الإزعاج.

لقد احتال عليها ببراعة تامة. حتى أن توقيته كان ممتازاً، لكنها تعلم أن أساليبه في تحقيق أهدافه مميزة وأنه أستاذ في وضع الخطط.

تذكرت نظرات تشارلز المتهمة رايان، وتذكرت بمرارة ذراع رايان حول خصرها، ونظرتها التآمرية الماكرة، وكيف اعتصر ذراعها وهو يكلمها بتحبب. . .

حالما أصبحا في الخارج، استدارت إليه بغضب ثائر: «أنت رجل متعفن، تعيس، عديم الضمير. . .»

استقر إصبعه على فمها يسكتها، قائلاً بهدوء: «الناس هنا كثيرون. إذا شئت أن تشتميني فمن الأفضل أن تشتمي في الحديقة العامة».

أثناء اجتيازهما تلك السافة القصيرة، جلست فرجينيا صامتة متوترة الشفتين، غاضبة من رايان ومن نفسها لعدم تكهنها بما كان يهدف إليه، لتحاول منعه.

عندما توقفوا قرب بوابات الحديقة المزخرفة، قال رايان: «يمكنك

يا ماكسويل أن تأخذ بقية النهار عطلة لك فنحن لن نحتاجك».

وقفز رايان من السيارة ماداً يده إلى فرجينيا ليساعدها على النزول، إلا أنها تجاهلتها بوجه عابس.

لكنها ما لبثت أن تعثرت، فسارع رايان ليمسك بها.

شدّها إليه بحركة لم تكن ضرورية، وهو يقول بغرور أثار أعصابها: «هذه نتيجة محاولة الاستقلال، من حسن الحظ أنني كنت موجوداً لأساعدك».

انتزعت نفسها منه وتوجهت من دون أن ترى، إلى البوابة الحديدية المرتفعة.

اختار رايان مكاناً تحت الأشجار، ثم التفت يواجهها: «حسناً، ماذا عندك لتقوليه؟».

اندفعت تتهمه بصوت أبح من دون أن تستطيع كبح غضبها: «أنت دبرت كل ذلك لكي تسبب المشاكل! إياك أن تحاول إنكار ذلك».

ـ لن أفعل هذا، وأنا مسرور جداً لنجاحي.

فقالت بعجز: «لا أدري كيف علمت أنه سيكون هناك».

ـ الأمر بسيط. رفيقه الذي حدّد له الوقت والمكان، كان مدفوعاً مني.

اعتراف رايان الهادىء جدد غضبها: «أنت حقير تثير الاشمئزاز. . .».

كانت فرجينيا التي لم يحدث لها بحياتها أن دفعها الغضب إلى صفع أحدهم، ولم تكن تظن نفسها قادرة على ذلك، قد أعماها الغضب الآن. ومن دون وعي، رفعت يدها وصفعته بقوة أدارت رأسه إلى الجانب الآخر.

وفجأة، تملكها الخوف لما فعلته، وأخذت تحدق مذعورة في الأثر الأحمر الذي تركته على خد رايان.

www.elromancia.com

وبأصابعه الطويلة، أخذ يتحسس البقعة برفق، ثم أجفل.

فقالت بصوت خشن: «أنت فقط تحاول أن تجعلني أشعر بأنني سيئة».

ـ ألا تشعرين بذلك؟

ـ بلى.

اعترفت بهذا بتعاسة ثم وجدت نفسها تعتذر، ولو أنها لم تكن تعني ذلك: «أنا آسفة».

ـ أظنني الملام في ما حدث، رغم أنني لا أنوي السماح لك بأن تصفعيني ثم تنفذي بجلدك.

وعندما تراجعت إلى الخلف، فزعة من التهديد الذي يلمع في عينيه، أضاف يقول: «لا تسيئي فهمي، فأنا لم أضرب امرأة قط، ولا أنوي أن أبدأ الآن. ولكن هناك طرق أخرى».

ازداد ذعرها، واستدارت لتهرب، لكنه أمسك بذراعها وأدارها إليه. وما هي إلاّ لحظة حتى وجدت نفسها بين الشجيرات القصيرة وظهرها إلى جذع شجرة، وهو ينهي كلامه برقة قائلاً: «طرق أكثر بهجة».

لم تنجح محاولتها لتحرير نفسها، فوضع يده خلف رأسها وانحنى يعانقها. تملكها الذعر مما قد يؤدي إليه عمله هذا، فحاولت أن ترفع ركبتها إلى أعلى، كما تعلمت في دروس الدفاع عن النفس في المدرسة. إلا أنه أبطل مفعول هذه الحركة بهدوء، مما جعلها تكف عن مقاومته وتجمد مكانها.

ـ هذا أحسن.

تغيّر كل شيء بسهولة. وباستثناء وجه فرجينيا المتوهج، لم يظهر عليهما شيء سوى أنهما يتمشيان في أنحاء الحديقة.

سألها رايان وهو يبدو هادئاً إلى درجة تثير الغيظ، وكأن لا شيء

حدث على الإطلاق: «أترغبين بفنجان قهوة؟ أم بآيس كريم؟».

وبالرغم من تصاعد الأدرينالين في عروقها الذي راح يدفعها للهرب أو المقاومة، شعرت بعدم القدرة على القيام بأي من هذين الأمرين. فأجابت: «أريد قهوة من فضلك».

حاولت أن تقلد لهجته الهادئة، لكنها فشلت تماماً.

ـ فلنتابع سيرنا إلى مقهى «هنغري هيبو»، حيث ألذّ قهوة شربتها في لندن.

اختار رايان طاولة بعيدة عن الطاولات الأخرى فجلست فرجينيا مرتخية الأطراف تنظر إليه وهو يطلب القهوة.

عاد رايان بفنجانين من الخزف وضع أحدهما أمام فرجينيا، وهو يقول: «القهوة هنا ساخنة جداً، وقد تعلمت بعد المعاناة والأخطاء أن الفنجان الخزفي هو الأفضل لئلا تحترق الأصابع».

رشفة واحدة حذرة أثبتت لها أن القهوة جيدة كما وصفها تماماً، وقالت بحيرة: «يبدو وكأنك تأتي غالباً إلى هذا المكان».

فقال بكسل: «جئت إلى هنا مرات عدة، فأنا أقيم في فندق كينيليم. وحديقة كينيليم قريبة من المكان الذي أمارس فيه رياضة الصباح، كما أن المقهى يفتح أبوابه باكراً ليقدم القهوة للزبائن».

قطبت جبينها وسألته: «منذ متى أنت في لندن؟».

ـ منذ عشرة أيام تقريباً، هذه المرة.

هذه المرة. . .

وقال يجيب عن هذا السؤال الذي لم تنطق به: «جئت إلى هنا مرات عدة مؤخراً».

وبقلق مفاجىء، تساءلت عن السبب. فسألته بشكل بدا عفوياً: «أظنها رحلة عمل؟».

ـ نعم. . . يمكنك القول إنه عمل سري ودقيق للغاية.

www.elromancia.com

تمنت من كل قلبها لو يسرع بإنهاء أعماله، ويعود إلى نيويورك. وسألته دون رجاء كبير: «متى ستعود إلى وطنك؟».

ـ عندما أنهي أعمالي، وأحصل على ما جئت من أجله.

كان جوابه بريئاً في الظاهر، ولكن شيئاً ما في ابتسامته، ونبرة صوته، زادا من شعورها بالقلق.

اقتنعت بأنه من غير الحكمة الاستمرار في هذا الحديث، فلاذت بالصمت وراحت تنهي قهوتها.

عندما وضعت فنجانها، قال رايان فجأة: «لم تخبريني بعد سبب هجرك لي عند باب الكنيسة؟».

ـ وأنت لم تخبرني بسبب اضطرارك إلى الزواج مني، في المقام الأول.

ـ ألا تظنين أن السبب هو أني وقعت في غرامك كالمجنون؟

أجابت باختصار وهي تتمنى في قرارة نفسها لو أن الأمر كذلك: «لا، لا أظن ذلك». وشعرت بسكين ينغرز في قلبها، ثم أضافت عندما لم تعد تستطيع احتمال الألم: «لا أريد أن أتحدث في الموضوع، فقد مضى كل ذلك وانتهى، ولا شيء يمكن أن يغيّر الماضي».

ـ ولا بأيّ شكل؟

لم يكن مزاجها يسمح بأن تجادله، فقالت بصوت منهك: «يجب أن أذهب إلى بيتي».

وعندما حاولت أن تنهض واقفة، أمسك بذراعها: «هناك أمر واحد أود معرفته قبل أن تفكري في الذهاب. عندما تحدثت إلى رينور هذا الصباح، لم أستطع أن أصدّق إتهامه السخيف لي. أريد أن أسمع من فمك لماذا تركتني».

ـ لأنه لم يكن في نيتي أن أدعك تستغلني، لكي تسنح لك فرصة العبث مع مادلين.

www.elromancia.com

ـ تكهنت أن لذلك علاقة بمادلين. لم تعودي قط كما كنت عندما رأيتها تعانقني تلك الليلة... لكنني أقسم أنه لم يكن بيننا شيء.

ـ أخبرتني بنفسها أنكما كنتما حبيبان... وقبل أن تزعج نفسك بإنكار ذلك، كانت جاينس قد أخبرتني الشيء نفسه.

ـ صحيح أنني ومادلين كنا على علاقة، لكن ذلك كله كان في الماضي. أتظنين حقاً أنني أعبث مع زوجة أخي أو أخدعك؟

ـ هذا ممكن، أنت أردتها فأخذها منك.

ـ أنا لم أكن أريدها. العلاقة البسيطة التي كانت بيننا انتهت تماماً قبل أن يتزوجها ستيفن.

هزت فرجينيا رأسها: «لقد أخبرتني عن حقيقة خطتكما، وكيف أنك تريد أن تتزوجني لئلا تشك أسرتك بما يجري بينكما».

تمتم بصوت منخفض وكأنه يشتم، ثم تنهد وقال: «وأنت صدّقتها؟».

كان هذا قولاً أكثر منه سؤالاً، لكنها أجابت: «نعم، صدقتها ولهذا السبب لن أعود إليك أبداً».

ابتسم من دون بهجة: «حتى ولو كنت لا تعرفين معنى كلمتي الحب والثقة، أريدك أن تعودي إليّ يا فرجينيا، وسأجعلك تدفعين ثمن كل يوم جعلتني فيه أنتظر».

ثقته هذه أرسلت موجة كالثلج في ظهرها فجعلتها ترتجف. قفزت واقفة بعنف، ما جعل الكرسي ينقلب إلى الخلف، وقالت بصوت أجش: «يجب أن أذهب».

نهض واقفاً، وأصلح وضع الكرسي، ثم قال: «سأسير معك حتى البيت».

فوجئت بإذعانه غير المتوقع هذا، وراحت تفكر في هدفه من وراء ذلك. ولكن ربما، بعد أن أرضى غروره بما سببه لها من أذى في يوم

واحد، أصبح مستعداً للراحة حالياً احتفالاً بالنجاح.

هذا ما كانت ترجوه. ما زال أمامها أن تواجه تشارلز. وشعرت بعدم القدرة على مواجهة أي شيء آخر.

أمسك بيدها، وعندما حاولت أن تسحبها، شدّ عليها أكثر. وشعرت بعدم قدرتها على مقاومته فتركت يدها، بضعف، حيث هي.

رغم انتباهها البالغ إلى حركة العضلات تحت قماش كمه الرقيق، واحتكاك جسمه بجسمها أحياناً، أثناء السير، إلا أنها حاولت أن تبدو غير متأثرة بذلك.

لم يدر بينهما حديث حتى وصلا إلى منعطف الشارع الذي يقع فيه بيتها، فسألها: «ألم تغيّري رأيك؟».

نظرت إليه: «بأيّ شأن؟».

ـ حول عودتك إلى البيت. قد لا يكون هذا عملاً حكيماً.

ـ عملاً حكيماً؟ لا أفهم ما تعنيه.

ـ إذا أصبح رينور حاقداً عليك. . .

ـ تشارلز ليس حقوداً على الإطلاق.

ـ لو كنت مكانك لما وثقت من ذلك. بدا بالغ التكدر أثناء الغداء.

ـ قد يكون مصدوماً أو غاضباً، لكنه لن يرفع إصبعاً عليّ، إذا كان هذا ما تعنيه.

ـ شعور الغيرة قوي للغاية. وقد يدفع أكثر الناس وداعة ومسالمة إلى القيام بأمور ما كانوا ليفكروا بالقيام بها.

هزت رأسها وقالت بلهجة قاطعة: «تشارلز لن يفعل شيئاً يؤذيني».

ـ هل أنت واثقة تماماً من ذلك؟ قد يكون أسلم لك إذا حجزت لك في الفندق.

فكرت في أنه خطط لذلك لكي يضرب عصفورين بحجر واحد.

وها هو يبذل جهده ليخيفها ويبعث الاضطراب في نفسها فقالت بهدوء: «أنا واثقة تماماً».

عندما رافقها وهي تصعد الدرجات حتى الباب، سألها: «ماذا تنوين أن تخبريه؟».

ـ الحقيقة طبعاً.

ورغم أن النهار مازال مشمساً، إلا أن رياحاً خفيفة هبت منذ غادرا الحديقة العامة، وأخذت خصلة من شعرها تنزل على وجنتها. أزاحها عن وجهها خلف أذنها، بلمسة خفيفة واثقة جعلتها ترتجف. وسألها بابتسامة ذات معنى: «الحقيقة كلها، أم نسخة منقحة عنها؟».

تذكرت مظهر الرعب على وجه تشارلز، وترددت، ثم قالت بذهن شارد: «لا أدري. لا أريد أن أجرحه أو أكدره أكثر مما أضطر إليه».

ـ هل يهمك أمره إلى هذا الحد؟

ـ نعم، فقد كان رائعاً معي، وأمره يهمني.

ـ لقد بدأت أصدقك.

خطر لها أن رايان يبدو مسروراً أكثر منه منزعجاً.

ـ أعترف أنك خططت لذلك كله بذكاء لامع، لكنني أخشى أن تكون قد ضيّعت وقتك وجهودك سدى.

لمعت عيناه وهو يقول: «ثمة أجزاء من الخطة استمتعت بها حقاً».

ـ أخشى أني لا أستطيع أن أقول الشيء نفسه.

سألها بهزة خفيفة من كتفيه: «وهكذا، متى موعد العرس؟».

دهشت لهذا السؤال المفاجيء، ومن دون أن تفكر، قالت: «الإثنين القادم».

ما أن تلفظت بهذه الكلمات حتى خطر لها أنّ عليها أن تكون أكثر حذراً وتكذب عليه، فيتم العرس قبل أن يدرك هو ذلك. لكن الأوان فات الآن.

www.elromancia.com

ورفع حاجبيه: «بهذه السرعة؟».

- لا سبب يدفعنا إلى التأجيل.

ثم أضافت باختصار: «والآن، بما أن مفتاحي معك، هل لك أن تدخلني؟».

- بكل تأكيد.

وفتح الباب ثم دس المفتاح في يدها وقال: «الأفضل أن تستعيديه».

فقالت ساخرة: «هل أنت واثق تماماً من أنك لا تريد الاحتفاظ به؟».

ضحك ورد: «شكراً، لكن ذلك غير ضروري».

ثم تابع يقول بثقة: «لأنك في المرة القادمة أنت التي ستأتين إليّ».

كانت تزال واقفة وكأنها تمثال من رخام عندما وصل إلى أسفل الدرجات فالتفت إليها: «بالمناسبة، ستجدين كيس نقودك على المنضدة في غرفة الجلوس».

وبعد لحظات كان يبتعد في الشارع بخطوات واسعة، والريح تعبث بشعره الأسود.

في المرة القادمة أنت التي ستأتين إليّ.

إذا كان يحاول أن يشغل بالها فقد نجح في ذلك. كان صوته مليئاً بالثقة... إلى حد بعيد.

وتأوهت، رغم أنها حاولت التقليل من أهمية الأمر أمام رايان، إنما لعل ما رآه تشارلز أثناء الغداء، قد أحدث في علاقتهما من الضرر أكثر مما تستطيع إصلاحه.

أرجوك يا ربي لا تدع هذا يحدث! ولكن كل ما يمكنها أن تفعله هو أن تنتظر لترى رد فعل تشارلز حين تخبره الحقيقة. قد لا يكون من السهل إقناعه بأن رايان خطط لكل شيء...

في السابعة والنصف، أصبحت المائدة جاهزة، والدجاج يغلي على نار هادئة، أما هي فلم تعد قادرة على الاستقرار، وأخذت تطوف في الأنحاء أشبه بقطة أسيرة.

وفي تمام الثامنة إلا ثلثاً، سمعت صوت مفتاح يدور في قفل الباب، تبعه صرير معدن.

أسرعت إلى الردهة وهي تنادي: «دقيقة واحدة».

وبعد محاولة قصيرة، فكّت السلسلة وفتحت الباب.

- آسفة، لقد نسيت رفع السلسلة مسبقاً.

كان وجه تشارلز جامداً، ودون أيّ تحية، أغلق الباب وعلّق سترته. ثم سار إلى غرفة الملابس حيث جفف شعره بمنشفة، ثم مشطه، بينما كانت فرجينيا تتسكع بعجز في الردهة.

- تشارلز، أنا بحاجة إلى أن أتحدث معك لأوضح كل شيء.

ومن دون أن يجيب بكلمة، تبعها إلى غرفة الجلوس.

سألته بارتباك عندما لم يظهر دليلاً على رغبته في الجلوس معها: «ألن تجلس؟».

فقال بتوتر: «ربما عليك أن تفتحي الموضوع رأساً. أظنك قررت العودة إليه».

فصرخت: «لا. لا. سبق وأخبرتك بأنني لن أعود إليه أبداً».

- ليس هذا ما بدا لي أثناء الغداء.

ابتلعت ريقها بصعوبة. يبدو أن إقناعه صعب تماماً كما كانت تخشى.

* * *

٨ ـ اللعبة الخطرة

قالت: «ما فهمته خطأ. رايان خطط لكل شيء لكي يجعلك تظن ما أراده هو».

كان واضحاً أن تشارلز لم يصدقها. واغرورقت عيناها الجميلتان بدموع اليأس. وعلى الفور، رقّت أساريره، فجلس بجانبها وأمسك بيدها: «ربما من الأفضل أن تخبريني القصة كاملة. لماذا ذهبت للقائه؟».

ـ لم أذهب للقائه. هو الذي جاء إلى هنا.

ـ كيف علم بمكان إقامتك؟

ـ عندما شاهدته لأول مرة في الحديقة العامة، أخبرته أنني أسكن معك.

ـ لكنك لم تعطه العنوان بكل تأكيد.

ـ كان يعرفه.

فهتف تشارلز: «يا له من شيطان. كيف عرفه؟».

ـ وضع مخبراً سرياً ليبحث عني منذ تركته. وهكذا عرفوا أين أعمل وأين أعيش.

فقال تشارلز ببطء: «وهكذا جاء إلى هنا. كيف علم أنك في البيت؟».

ـ قال إنه ذهب إلى المعرض، وأظنه علم بذلك حينذاك.

ـ لماذا أدخلته؟

ـ ما كنت لأدخله لولا أنه فاجأني وأصبح في الداخل قبل أن أدرك أنا ذلك. سألته ماذا يريد فقال إنه جاء ليأخذني إلى الغداء. رفضت في البداية لكنه لم يقبل رفضي. وأخيراً، ظننت أن من الأفضل أن أكون معه في مكان عام أما الذي لم أعرفه فهو أنه كان ينوي أخذي إلى المطعم نفسه الذي كنت أنت فيه. . .

ـ وكيف عرف أين سأتناول غدائي؟ أندروبيش الذي قام بالحجز هو وحده الذي يعلم، وأنا طبعاً.

عندما رأت أن تشارلز لم يقتنع، قالت: «ما أقوله صحيح. هو اعترف لي بذلك. كل شيء كان مخططاً له بعناية. وهذا هو السبب الذي جعله يعانقني، ويقول لي(يا حبي). كان يريدك أن ترى وتظن أسوأ الأمور».

نظر إليها بثبات: «هل ما أخبرتني به هو الحقيقة؟».

ـ نعم. هو كذلك.

ـ وأنت لا تريدين أن تعودي إليه؟

فقالت وهي تهتز: «لا أستطيع احتمال ذلك».

ومرة أخرى، أصبح وجهه الحسن المنظر، متوتراً. وهو يقول: «ماذا بالنسبة إلينا؟ هل غيّرت رأيك بالنسبة للزواج مني؟».

ـ لا. مازلت أريد أن أتزوجك. هذا إذا لم تغير أنت رأيك؟

أضافت الجملة الأخيرة غير واثقة، فكان جوابه أن شدّها إليه واحتضنها وكأنه لن يتركها أبداً.

شعرت بارتياح بالغ وهي ترى البهجة تحتل مكان الإنهاك في وجهه.

وبعد حين، تذكرت موعد العمل الذي اعتبره تشارلز هاماً، وكيف قال بحيوية بالغة إنه إذا نجح، فسينهي مشاكله المالية كلها. وتساءلت

www.romanda.com

كيف انتهى الأمر. وأحست بتيّار خفي من الحماسة يسري في رفيقها الفاتر في العادة. فسألته: «هل سارت الأمور على ما يرام هذا المساء؟».

ـ كان الأمر ناجحاً جداً. كنت سأخبرك على الفور، ولكن موضوعنا الأكثر أهمية طغى على كل شيء.

فقالت باسمة: «أخبرني الآن».

ـ خمّني.

ـ عثرت على كنز؟

ـ يمكنك أن تقولي ذلك. منذ أكثر من أسبوع تلقيت مكالمة تعرض عليّ لوحة لرواسير.

ـ رواسير؟

ـ أنا نفسي لم أصدق ذلك أيضاً، مع ذلك وافقت على أن ألقي نظرة عليها. أصرّ المتصل، الذي قدم نفسه بإسم السيد سميث، على الكتمان المطلق والسرية. ولأنه بحاجة ماسّة إلى المال فهو مستعد لأن يبيعها بنصف ما تستحقه من ثمن. شرطه الوحيد هو أن يكون الدفع نقداً، وأن يبقى الأمر سرياً.

ـ ولكن ألا تؤدي إتفاقية كهذه. . . إلى المشاكل؟

ـ نعم، هذا يحدث. كما أنه من غير السهل جمع مبلغ كبير من النقود، وهذا يعني أن اللوحة يجب أن تنتقل بالطريقة السرّية نفسها.

فقالت بيأس: «لكنك لم تكن تؤيد قط عملاً كهذا. وهناك سمعة المعرض الطيبة، عليك أن تفكر فيها».

ـ نعم، أعلم هذا، ولو أن ظروفي ليست بهذه الصعوبة، ما كنت لأقبل بالتورط بهذا الأمر.

شعرت فرجينيا بأعصابها تتوتر. لا بد أن مشاكله المالية أصعب مما يعترف به.

ولخوفها عليه، قالت تعترض: «أليس في هذا كله مخاطرة كبرى؟ ماذا لو انكشف الأمر؟».

ـ السيد سميث لن يثرثر، وأظن أن بإمكاني أن أعتمد عليك بعدم قول أي شيء.

ـ ولكن إذا كنت تعاني من مصاعب مالية، لا أدري كيف يمكنك أن تجمع مبلغاً، اعترفت لتوّك بأنه ضخم للغاية.

ـ لقد سبق وحللت المشكلة. وجدت مصدراً سيمنحني قرضاً قصير الأمد متخذاً أعمالي ضماناً لذلك.

ألقت فرجينيا بورقتها الأخيرة: «ثمة جامعي لوحات ثمينة يشترون دون طرح أسئلة كثيرة، ولكن قد يمرّ وقت طويل قبل أن تجد من هو. . .».

فقاطعها: «الذي شار ينتظر واسمه أندرسن».

فقالت بغباء: «هل وجدت زبوناً بهذه السرعة؟».

ـ لو لم يكن لدي زبون في الانتظار، لما جازفت.

كانت هذه عادة تشارلز في العمل. وتنفست هي الصعداء.

ربّت على يدها يطمئنها: «لا تقلقي يا عزيزتي. لقد سلمت اللوحة الليلة واستعدت نقودي، مع نسبة أرباح جيدة. سنبدأ حياتنا الزوجية وقد حُلت جميع مشاكلنا».

ابتسمت فرجينيا فهي تريد أن تشعر بالسعادة من أجله، لكنها كانت تشعر في أعماقها بعدم صوابية ما حصل.

عندما اقترب موعد النوم، وصعدا السلم معاً، كما اعتادا من قبل، شعرت فرجينيا بعدم الارتياح. ماذا لو خطر لتشارلز أن يعانقها؟

لو فعل ذلك، فعليها هذه المرة، أن تتجاوب معه. ومع ذلك، انتبهت لشعور بالنفور يتملكها.

كل هذا بسبب رايان، هكذا حدثت نفسها بغيظ. بعد أن يعود إلى

www.elromancia.com

أميركا، وتتزوج تشارلز، ستصبح الأمور على ما يرام. لكن التفكير فيه يجعلها حالياً مضطربة وغير مستقرة على الإطلاق.

وكأن تشارلز قرأ أفكارها إذ قال لها: «تصبحين على خير إذن. إذا شئت أن تبقي في البيت غداً، فلن أزعجك من نومك...»

لكنها هزت رأسها: «لقد قررت الذهاب إلى العمل كالعادة».

وتذكرت ما قاله رايان وهو يتركها(في المرة القادمة أنت التي ستأتين إلي) فاقتنعت بأنه لن يأتي إلى البيت ولا إلى المعرض.

ـ لا. سأذهب معك إلى المعرض. على الأقل سنكون معاً.

* * *

أثناء اليومين أو الأيام الثلاثة التالية، عادت الحياة إلى طبيعتها مع عودة فرجينيا وتشارلز إلى نظام حياتهما المألوف.

لكن على الرغم من مظهرها الخارجي الطبيعي، كانت فرجينيا تشعر بتوتر في أعصابها وباضطراب. لا أثر لرايان، لكنها لم تستطع أن تصدق أنه أذعن وتخلى عنها بهذه السهولة، وترقّبها لما سيفعله جعلها تشعر دائماً بالقلق. لم تصدق أنه ينتظر لتذهب إليه، أم أن هذا ممكن؟ ظلّ هذا الخوف يكمن مترصداً في لا وعيها كظل أسود أثناء النهار، ويوقظها، وقلبها يخفق بقوة، في منتصف الليل.

والأسوأ هو محاولتها إخفاء ذلك عن تشارلز. فقد كان يبدو في ذروة السعادة لأنه دفع ديونه، ولأنه أصبح واثقاً من أن رايان أذعن في النهاية وتركهما وشأنهما. لكن فرجينيا أخفت الجزء الأكبر من الحقيقة عنه، كما أنه لا يعرف رايان كما تعرفه هي.

وكلّما اقترب موعد الزفاف، كلّما اشتد قلق فرجينيا، حتى لم تعد تتمالك أعصابها.

أصرّ تشارلز على أن يقفل المعرض أبوابه يوم الإثنين، لتستطيع

هيلين أن تحضر الزفاف.

قال تشارلز وهو يجلس على حافة مكتب فرجينيا: «أربعة أيام ستكون كافية لآخذ زوجتي إلى باريس للتسوق، وبعد ذلك نذهب في شهر العسل».

وإذ رأى الكآبة لم تبارح وجهها، شدّ على يدها قائلاً: «ألا تظنين أن الوقت حان لكي تتوقفي عن القلق بشأن فالكونر؟ لو أنه يخطط لمزيد من الحيل، لفعل ذلك. الأرجح أنه عاد إلى بلاده. سأسأل عنه فلدي رقم هاتف فندقه في مكتبي».

وسرعان ما عاد وابتسامة رضى على وجهه: «كما ظننت تماماً. لقد سافر إلى أميركا باكراً صباح يوم الأربعاء».

ورغم شعور فرجينيا بالارتياح إلا أن شعوراً بعدم التصديق سيطر عليها فلم تقتنع بأن رايان أذعن بهذه السهولة.

* * *

اليوم التالي كان يوم السبت، وهو أحد أيام الأسبوع التي يكثر فيها العمل. ولم تكن فرجينيا قد اشترت شيئاً جديداً للعرس، فأصر عليها تشارلز أن تأخذ استراحة لتشتري ما تريده.

ـ اذهبي واشتري ثوباً جميلاً وملابس داخلية، وتناولي الغداء على مهل في«هارودز»..

خرجت باسمة لتحقق رغبته، لكنها لم تشأ أن تتأخر. وهكذا تناولت غداء مبكراً، وذهبت إلى البيت حيث تركت مشترياتها، ثم عادت إلى المعرض.

أدهشها أن تعلم أن تشارلز خرج. فقالت لها هيلين: «يبدو أن أمراً طارئاً قد حصل فلم يستطع الانتظار. قال إنه سيعود بأسرع وقت ممكن».

لكنه غاب طيلة العصر. وهكذا لم تره فرجينيا إلا عندما حان وقت العودة إلى البيت، فظهر عند باب مكتبها وقد بدا عليه الضيق والتعجّل: «آسف لاضطراري إلى الخروج على الفور مرة أخرى. هل لديك مانع في أن تقفلي المعرض وتذهبي وحدك إلى البيت؟».

ـ طبعاً ليس لدي مانع. هل كل شيء على ما يرام؟

ـ ثمة أمر مستعجل بعض الشيء. علي أن أذهب إلى «ساسكي». ليس لديّ فكرة متى أعود، ولهذا لا تنتظريني.

قطبت جبينها وهي تنظر إلى الباب الذي أغلقه وراءه، متسائلة عما حدث لكي يخرج تشارلز الهادىء النظامي عن هدوئه الطبيعي.

حاولت أن تنبذ التشاؤم، لكن إحساسها بكارثة وشيكة لم يتبدّد.

عندما أخذت مفاتيحها من المكتب. سارت في المعرض تتفقده وتتأكد من أن الزوّار غادروه.

قالت لها هيلين: «بدا القلق البالغ على تشارلز عندما عاد، وكان يتصرف بشكل غريب».

أرادت فرجينيا أن تطمئن المرأة، لكنها لم تستطع فقالت: «كل ما قاله لي هو إن شيئاً مستعجلاً يشغله، ثم طلب مني إغلاق المعرض».

وفيما كانت هيلين تخرج معطفها، رن جرس الهاتف، فرفعت السماعة: «معرض تشارلز رينور. نعم... نعم، ما زالت هنا».

ثم نظرت إلى فرجينيا وقالت: «المخابرة لك».

ومن دون تمهيد قال رايان: «سأعود إلى نيويوك غداً، وأريدك معي».

رأت هيلين وجه فرجينيا يشحب، فقربت لها الكرسي باهتمام. جلست عليها وهي تقول: «ظننتك ذهبت إلى بلدك».

ـ كانت زيارة خاطفة، وقد عدت إلى كينيليم. أنا في الجناح الملكي، وأتوقع أن توافيني الليلة.

ردت بصوت أجش: «حسناً، سيخيب أملك».

فقال بهدوء يثير الغيظ: «لا أظن ذلك. إذا كنت تهتمين برينور، فستأتين إليّ».

ساد الصمت عندما استوعب ذهنها المضطرب هذا التهديد، ثم سألته متلعثمة: «ماذا؟».

ـ قلت لك إنك ستأتين إذا كنت تهتمين برينور، ولا تنسي إنني أريدك الليلة ولا يهم مهما تأخرت. سأرسل لك سيارة. من الأفضل أن تكتبي رقم هاتفي لتتصلي بي عندما تصبحين مستعدة للمجيء».

غمرها شعور بأنها مرغمة على ذلك، لعلمها أن رايان لا يطلق أي تهديد أجوف على الإطلاق، فالتقطت قلماً وورقة ودونت رقم هاتفه بأصابع مرتجفة.

ـ لا تزعجي نفسك بإحضار أكثر مما هو ضروري لليلة واحدة. يمكنك أن تشتري كل ما تحتاجينه من نيويورك.

ثم أقفل الخط.

بقيت للحظات تنظر إلى رقم الهاتف المدّون على الورقة، حتى بدا وكأن الأرقام تحترق في دماغها.

سألتها هيلين: «هل أنت بخير؟ وجهك شاحب للغاية».

فقالت كاذبة وقد جفّ فمها: «نعم، أنا بخير. كانت مجرد صدمة صغيرة. ظننته في أميركا».

فقالت هيلين بفضول: «إنه رايان فالكونر. فصوته مميّز جداً... آخر مرة جاء فيها، أخذه تشارلز إلى مكتبه. رغم أن أياً منهما لم يرفع صوته، تكهنّت بأن قتالاً حقيقياً دار بينهما».

تلكأت هيلين دقيقة أو اثنتين، وعندما رأت أن فرجينيا لن تتكلم: «حسناً، إذا لم يكن هناك ما أفعله فمن الأفضل أن أذهب».

وعلى الفور سألتها فرجينيا: «أنت تحبين تشارلز، أليس

كذلك؟».

فقالت هيلين بهدوء: «نعم، ولكن لا تظني لحظة أنني..».

ـ أنا لست غيورة منك. أنا أسألك فقط لأنه قد يحتاج إلى مساندتك! فلا تبخلي عليه بها.

تشابكت أعينهما للحظة، ثم أومأت هيلين وهي تعلق حقيبتها في كتفها وتتوجه إلى الباب.

تبعتها فرجينيا. وبعد أن أقفلت الباب خلفها، شغّلت جهاز الإنذار قبل أن تخرج من الباب الخلفي.

عندما وصلت إلى البيت، أحست به خالياً ينتظر. وكانت مشترياتها لا تزال ملقاة على الأريكة، في جوّ من الوحشة والهجران، فحملتها إلى غرفتها، ووضعتها في الأدراج، من دون إلقاء نظرة أخرى عليها.

للحظة، شعرت بهدوء غريب. وكم رغبت في استعجال الوقت كمجرم حكم عليه بالإعدام، وينتظر أن يهوي الفأس على عنقه.

هاجمها القلق مرة أخرى وأقلقتها الأسئلة التي لا جواب لها، ومرّ الوقت بطيئاً.

عندما لم يعد تشارلز في التاسعة والنصف، صعدت فرجينيا، إلى غرفتها منهكة مرهقة المشاعر. تمنّت، ألاّ يكون رايان جاداً في ما قاله، لكنها عادت فاقتنعت بأن هذا غير ممكن.

تركت باب غرفة النوم مفتوحاً لتسمع صوت تشارلز عندما يأتي إلى البيت، ثم اندست في السرير لتحاول أن تنام. لكنها ما لبثت أن أخذت تتقلب متململة غير قادرة على الاستقرار، وأخيراً تخلت عن المحاولة وأضاءت المصباح بجانب السرير ثم التقطت كتاباً.

كانت الساعة قد دقت الحادية عشرة عندما سمعت الباب الأمامي يُفتح. انتظرت لحظة بدت لها دهراً ثم ارتدت عباءتها ونزلت السلم

حافية القدمين.

كانت الردهة وغرفة الجلوس غارقتين في الظلام لكن الضوء يتسرب من باب المطبخ.

سارت بصمت ووقفت عند العتبة، فرأت تشارلز منهاراً على كرسي بجانب المائدة، وقد أسند رأسه بيديه. بدا أكبر من سنّه وكأنما هزمته الحياة فجأة.

وعندما ترددت عند الباب رفع بصره ورآها. نظرت إليه وهو ينتصب في جلسته... محاولاً أن يعود ذلك الرجل الهادىء الواثق من نفسه الذي عرفته، فامتلأ قلبها عطفاً وحناناً عليه.

جلست على مقعد قبالته، ثم مدت يدها تمسك بيده فوجدتها باردة كالثلج: «عجبت لأنك لم تصعد إلى سريرك».

ـ كنت أفكر في شرب فنجان كاكاو.

ـ أنا أعلم أن أمراً سيئاً للغاية قد حدث. ألا تريد أن تخبرني عنه؟.

ـ إنها لوحة رواسير التي اشتريتها...

تملكتها المخاوف، وانتظرت ما أصبحت واثقة الآن من أنه سيأتي. أضاف بفتور: «إنها نسخة لا تساوي شيئاً. تزييف بارع. أنا أعرف أعمال رواسير، لكنني كنت مستعداً للمراهنة بحياتي على أنها حقيقية تماماً».

سألته بصوت ثابت: «كيف اكتشفت أنها ليست حقيقية؟».

ـ اتصل بي أندرسن عند الغداء بانفعال بالغ. أخبرني أن النسخة الحقيقية للوحة «آثار أقدام» موجودة عند جامع لوحات آخر.

فقالت من دون أمل: «إلا يمكن أن يكون مخطئاً؟».

ـ لا، تأكدت من ذلك.

ـ ماذا عن الرجل الذي بعته النسخة؟ أندرسن؟

ـ لو استطعت أن أعيد إليه نقوده فهو مستعد لنسيان الأمر، وعندئذٍ

تُصان سمعتي. لكنني لا أستطيع... وإذا لم يستعد ماله قبل يوم الإثنين، فسيبلغ الشرطة. أنا أكبر مغفل في العالم. سأفقد المعرض وكل ما أملكه وأنتهي في السجن.

عندما استوعبت كلمات تشارلز اليائسة هذه، ترددت في ذهنها كلمات رايان: (ستأتين إليّ إذا كان أمر رينور يهمك...).

كان يعلم ما سيحدث، وهو يعرض السبيل للخروج من هذا المأزق، شرط أن تعود إليه... هادئة باردة كالثلج، راح ذهنها يعمل بسرعة ووضوح: «كم يلزمك من المال؟».

فذكر لها تشارلز مبلغاً هائلاً.

سارت فرجينيا بإذعان إلى الهاتف في الردهة، وطلبت الرقم الذي انطبع في ذهنها. وعندما أجاب رايان، قالت له بصوت متحجر: «أنا جاهزة للمجيء».

ـ كم يحتاج رينور؟

فأخبرته. ودون أدنى تردد، قال: «ماكسويل سيحضر الشيك».

ـ متى تريد أن تستعيد نقودك؟

ـ لن أستعيدها. إنها منحة لتمكين رينور من أن يبدأ من جديد، ويعطيني هو ما أريده.

نظرت من خلال باب المطبخ، فرأت تشارلز لا يزال جالساً كما تركته بالضبط، حتى أنه لم يبدُ عليه أنه لاحظ غيابها.

وقع بصرها على أمتعتها المحضّرة لشهر العسل، وفكرت بمرارة ساخرة في أن الهرب وترك مشتريات الزفاف أصبح عادة لديها.

عندما نزلت السلم، وضعت حقيبتها وحقيبة يدها في غرفة الجلوس ثم واجهت أشق مهمة على الإطلاق.

كان تشارلز لا يزال جالساً يحدق إلى الفضاء، غارقاً في شبه غيبوبة من اليأس. وقفت إلى جانبه، ثم وضعت يدها على كتفه.

نظر إليها بعينين جامدتين زائغتين بشكل غريب، وكأنه ينظر إلى داخله وليس إليها.

ـ أريد أن أتحدث إليك.

ـ ألا يمكن أن يؤجل هذا إلى الصباح؟

ـ لا، لا يمكن.

وكان يقوم بمجهود بالغ، ليركز نظره: «طبعاً... لا تقلقي. سألغي العرس. لا أتوقع أن ترتبط امرأة برجل مفلس مهدد بالسجن».

ـ لن تفلس، ولن تدخل السجن. رايان مستعد لأن يمنحك المبلغ الذي تريده. غداً يمكنك أن تعيد إلى أندرسن كل قرش دفعه.

استغرق استيعابه لقولها لحظة أو اثنتين، ثم هز رأسه وكأنه ينبّه ذهنه: «ماذا قلت؟».

فكرّرت قولها. قال وقد دار رأسه: «متى تكلمت معه؟».

ـ منذ دقائق. لكنني لم أطلب منه المال بل هو الذي قدّمه لي.

ـ ومتى يريد استعادته؟

ـ إنه لا يريد استعادته.

ـ ذلك المبلغ من المال؟ لا بد أنه يريد استعادته؟

هزّت رأسها وأضافت بسرعة: «لا تقلق، ذلك سهل عليه، فهو يدفع أكثر من ذلك بكثير لأعمال الخير».

ـ ولماذا يريد أن يساعدني ونحن لسنا صديقين؟

وكان هذا هو السؤال الذي تخافه.

* * *

www.elromancia.com

٩ ـ خيبة أمل

عندما ترددت لتفكر في أحسن طريقة لإخباره، قال بعنف: «لا. قلت إنك لن تعودي إليه أبداً، لن أسمح بأن تبيعي نفسك من أجلي».

ـ أنا لا أقوم بشيء كهذا.

وأدركت أن عليها أن تقنعه بشكل ما، وإلا فسيرفض العون من رايان. قالت: «إسمع. ما كنت لأعود إليه فقط من أجل المال، ولكن..».

ـ ولكنك لا تستطيعين التفكير في الزواج من رجل مفلس. أنا لا ألومك...

ـ أرجوك، هل لك أن تكفّ عن مقاطعتي وتصغي إليّ؟ إذا لم يكن لديك قرش واحد، وكان عليك أن تذهب إلى السجن لبقيت أريد أن أتزوجك لو كنت حقاً أحبك...

قال، وكأنه كان يعلم دوماً ذلك في أعماقه: «لكنك لا تحبينني».

واعترفت هي قائلة: «ليس إلى حد كافٍ».

ـ ربما كنت أعلم دوماً أنني أعيش في فردوس زائف، لكنني لم أشأ أن أعترف بذلك.

ـ أردت أن أحبك. حاولت ذلك...

فتنهد من أعماقه: «ما زلت تحبين فالكونر، أليس كذلك؟».

ـ نعم.

ـ رغم أنك حاولت أن تنكري هذا، أظنني كنت أعرف ذلك دوماً. كنت أحاول أن أقنع نفسي بأنني مخطىء، ولكن ذلك النهار في المطعم، عندما عانقك، كان حبك له واضحاً بشكل مؤلم.

ـ أنا آسفة.

ـ وكنا على وشك الزواج.

ـ كنا سنرتكب غلطة. فأنت تستحق زوجة تحبك من أعماق قلبها، زوجة تشعر نحوك كما أشعر أنا نحو رايان.

ـ هل ستعودين إليه؟

ـ نعم.

ـ قلت من قبل إنك لا تريدين العودة إليه.

ـ هذا صحيح، لم أكن أريد ذلك.

وكبحت رجفة تملكتها: «لكنني لم أستطع السيطرة على نفسي».

لم يكن تشارلز أحمق. وبعد لحظة، قال: «هكذا، عندما أخبرته أنني في مأزق، عرض هو المساعدة بشروط، وهنا قررت العودة إليه».

ـ لا. أنت مخطىء.

فقال متعباً: «لا فائدة. أنا أعلم أنك تقومين بهذا من أجلي فقط».

ـ أنت مخطىء! أنا عائدة إليه لأن هذا ما أريده. سبق وقررت هذا حتى قبل أن أعلم نوع المأزق الذي كنت فيه... انتظرتك لأخبرك.

انتصب في جلسته: «تقولين إنك قررت أمرك قبل أن تعلمي بمشاكلي؟».

ـ نعم.

ـ ومتى تكلمت معه عن ذلك؟

أجابت على أساس أكثر أمناً: «لقد عاد إلى لندن واتصل بي إلى المعرض بعد خروجك مباشرة، سيعود إلى وطنه غداً ويريدني أن أذهب معه».

وعندما رأت أن تشارلز غير مقتنع تماماً، أضافت: «إسأل هيلين إذا كنت لا تصدقني. فقد ردّت هي على الهاتف وعرفت صوته. . .».

رن جرس الباب أثناء كلامها: «هذا سائق رايان، جاء ليأخذني وقد أحضر الشيك».

وأسرعت إلى الباب لتجد ماكسويل واقفاً، فناولها مغلفاً أبيض وقال: «طلب السيد فالكونر أن أسلمك هذا المغلف وأنتظرك».

عادت بالمغلف ووضعته في يد تشارلز، ففتحه ونظر إلى الشيك.

بدا على وجهه مزيج غريب من الرهبة والارتياح والقلق: «لقد دفع فالكونر مبلغاً طائلاً. إمّا أنه سخيّ للغاية، وإما أنه يكنّ لك تقديراً بالغاً».

ثم سألها بسرعة: «هل أنت واثقة حقاً من أنك تريدين العودة إليه؟».

ـ واثقة تماماً.

ـ قال إنه يريد إستعادتك فقط ليثأر منك.

فقالت بحذر: «قد يكون هذا صحيحاً، لكن أفضل العيش مع رايان على العيش من دونه».

ـ أنا أفضّل أن أمزق هذا الشيك وأستسلم لمصيري، على أن أدعك تجازفين بنفسك.

ـ يمكنك ذلك، إذا شئت، لكنني سأعود إلى رايان على أيّ حال.

ورأته متردّداً، فعادت تقول: «أنت تعرف الوضع الآن. من الخسارة أن تمزقه، إلا إذا كانت كبرياؤك تمنعك من الاحتفاظ به. . .».

ـ المال غير مهم بالمقارنة. . .

ـ آه، بل هو كذلك. إنه لا ينقذك فقط، بل ينقذني أنا أيضاً، فهو يمكّنني، من تركك من دون أن أشعر بالذنب.

حاول أن يبتسم: «لا أستطيع أن أشعر بغير الأسف لهذا».

ـ ستجعل امرأة محظوظة حبيبة رائعة. امرأة مثل هيلين التي تحبك من كل قلبها.

رأت الدهشة على وجهه. من الواضح أنه لم يكن لديه فكرة عن الموضوع. ربما سينظر إلى المرأة الأخرى بشكل مختلف، ولو استطاع فقط أن يرى كم هي جذابة. . .

ـ فرجينيا. . .

كانت عند الباب فالتفتت إليه. فقال: «إذا لم تنجح الأمور معك، فأنا مازلت هنا حتى لو بقينا صديقين فقط».

ـ شكراً.

وابتسمت له قبل أن تحمل حقيبة يدها وتخرج من المنزل.

الرحلة كانت بطيئة بسبب زحمة السير، لكن فرجينيا لم تلحظ ذلك. فقد جلست منهكة، شاعرة بالخواء، تحدّق أمامها بعينين لا تريان.

عندما وصلا إلى الفندق، حمل ماكسويل حقيبتها ثم رافقها إلى الجناح الملكي.

فتح رايان الباب بنفسه، وأخذ منه الحقيبة قائلاً: «شكراً يا ماكسويل».

في الداخل، ألقى رايان بالحقيبة وأخذ يتأمل وجه فرجينيا الشاحب: «تبدين محطمة للغاية. أظن أن عليك أن تذهبي مباشرة إلى السرير. سندع الحديث حتى الصباح».

كان شعره الأسود مازال مبللاً، وقد حلق ذقنه لتوّه.

قادها إلى غرفة نوم مطلية باللونين الأزرق والرمادي، يتوسطها سرير فسيح. وعلى الفور وجدت نفسها تتذكر بوضوح ما قاله لها في الحديقة العامة: (الآن، بعد أن عثرت عليك، أريدك أن تعودي إلي).

www.elromansia.com

وتملكتها رجفة. لقد جاهدت في إقناع تشارلز بأن هذا ما تريده، وأنها لن تعاود التفكير في النتائج. وها هي الآن هنا، وقد فات الأوان على التراجع. لو كان أمرها يهمه مثقال ذرة فقط. . . ولكن لا. إنه يريدها فقط لكي يعذّبها انتقاماً منها لأنها تركته.

وسيكون الأمر أسوأ عندما يصلان إلى أميركا لأن هذا يعني مزيداً من الآلام والإذلال. ستصبح كبش الفداء بينما تنظر إليها مادلين مستمتعة متشفية. ولكن عليها أن تحتمل كل ذلك، بشكل ما، حتى يحقق انتقامه ويتملكه السأم أخيراً.

وقاطع صوت رايان أفكارها الكئيبة التعيسة: «دعيني أساعدك. تبدين وكأنك لا تستطيعين الوقوف».

وما إن أحاط خصرها بيده ليسندها، حتى اضطرمت فيها المشاعر المحمومة. وإذا بجسدها الخائن يستجيب لقربه بلهفة بالغة، إلا أن عقلها ظل رافضاً فكرة الإذعان له كارهاً عبودية حواسها.

كان الأمر ليصبح أفضل لو أن بإمكانها أن ترفضه عقلاً وجسداً معاً، لكنها تعلم جيداً أن ذلك مستحيل. ولو أن الأمر كذلك، لما رغب رايان فيها، فهو ليس بالرجل الذي يستمتع بحب امرأة كارهة له.

حتى ولو كان ذلك للانتقام منها فقط.

ـ أليس من الأفضل أن تصعدي إلى السرير حالاً.

أجفلت لكلامه، فقد انتظرت منه أن يحملها بين ذراعيه ويلقي بها على السرير كأيّ فاتح منتصر. لكنه قال بهدوء: «سأتركك لتغيّري ملابسك وتخلدي للنوم».

وقبل أن يخرج، أخذها بين ذراعيه فصدرت عنها رجفة خفيفة يائسة. جذب جسدها المرتجف إلى جسده الدافىء، ثم أراح رأسها على كتفه القوية.

كانت من التوتر بحيث مرّت لحظات قبل أن تشعر بالرضى لأن

رايان لن يضايقها.

ظلّت في البداية متصلبة بجفاء، تصغي إلى دقات قلبه القوية تحت خدّها. ثم، شيئاً فشيئاً، راح جسدها يسترخي بين ذراعيه وكأنها عادت إلى بيتها بعد طول غياب ومعاناة.

* * *

لم يكن رايان غافلاً عما تشعر به نحوه، فأحس بالرضى. لكن سؤالاً واحداً يحيّره ولن يرتاح قبل أن يعرف جوابه. كان واثقاً إلى حد ما بأن الجواب سيرضيه، إلا أنه بحاجة إلى أن يطمئن نهائياً. فسألها: «لم يكن رينور حبيبك أبداً، أليس كذلك؟».

هزت رأسها نفياً، غير قادرة على الكذب.

ـ ولكن أثناء السنتين والنصف الماضية، لا بد أنك عرفت غيره؟

ـ لا.

سمعته يتنفس الصعداء قبل أن تشتد ذراعه حولها بتملك وهو يقول بانتصار: «يا حلوتي، أنت لي وحدي».

لم تستطع أن تظهر أي امتعاض. وفوجئت به يسألها: «لماذا لم يكن لديك أيّ حبيب؟».

لأنه الوحيد الذي أحبته في حياتها. وعندما لم تجب، عاد يلحّ عليها: «أنت صغيرة وجميلة فلماذا لم تتخذي حبيباً آخر؟».

خوفاً من أن يتكهن الحقيقة ويستعملها سلاحاً ضدّها، سألته: «ألم تسمع قط بالمثل القائل: من لدغته الأفعى يخاف من الحبل؟».

فقال بمرح: «جعلتني أبدو وكأنني أفعى مخيفة».

لكنها كانت واثقة من أنه أصيب بخيبة أمل.

* * *

أيقظتها جلبة خفيفة ففتحت عينيها لترى رايان جالساً على حافة السرير وقد اغتسل وارتدى ملابس بسيطة.

ـ سيكون الفطور جاهزاً بعد دقائق، كما علينا أن نترك الفندق.

وأضاف وهو يلامس وجنتها بأصابعه: «أنت المرأة الوحيدة التي تستيقظ رائعة الجمال عند الصباح».

فاحمر وجهها، ونزلت من السرير وهربت إلى المطبخ تتبعها ضحكته الراضية.

كيف أمكنها أن تتخلى عن سيطرتها على مشاعرها بهذه السهولة؟ أخذت تتساءل عن ذلك بغيظ، وهي تفرك أسنانها بشدة لا ضرورة لها. لقد كانت حمقاء ضعيفة! أين قوة إرادتها؟

ولكن ما فائدة تعنيف نفسها؟ هكذا سيبقى حالها مع رايان. الحب، وكل تلك المشاعر المضطرمة التي تكنها له، تجعلها تنتمي إليه أكثر مما تنتمي إلى نفسها. وعندما أخبرت تشارلز أنها ما زالت تحب رايان، كانت تنطق بالحقيقة، فهي لم ولن تتوقف عن حبه أبداً.

ارتجفت بالرغم من البخار المعطر الذي يعبق في الحمام. حبها يجعلها ضعيفة للغاية، ويمنحه قوة هائلة يستغلها ضدّها... وبقسوة بالغة.

لعل فرصتها الضعيفة الوحيدة هي إنكار هذا الحب....

عندما انتهت، أسرعت إلى غرفة النوم وفتحت حقيبتها ثم أخرجت ملابس نظيفة ارتدتها بسرعة. وضعت زينة خفيفة على وجهها، وكانت على وشك أن تربط شعرها لكنها عادت فغيّرت رأيها، وتركته منسدلاً.

كان رايان واقفاً عند النافذة ينظر إلى الشارع المزدحم المؤدي إلى حديقة كينيليم العامة، فيما عربة الإفطار بالانتظار. استدار عند دخولها وبأدبه المعتاد، سحب لها كرسياً لتجلس، ثم قال بعد أن سكب لهما كأسين من عصير البرتقال: «أتريدين بيضاً مع اللحمة؟».

ـ شكراً. أريد قهوة وخبزاً محمصاً فقط.

نظر إليها وهي تدهن الخبز بالزبدة، ثم سألها: «والآن كيف تقبّل رينور الأمر؟ ظننته سيعترض على بيعك نفسك».

عضت شفتها قبل أن تقول باختصار: «لقد فعل. في الواقع كان مستعداً لتمزيق الشيك».

ـ أظنك أقنعته بقبوله وإلا لما كنت هنا. في الواقع شعرت بالارتياح لأنه اهتم بمصلحته أولاً.

شعرت بنبرة خفيفة من الازدراء في صوته، فهبّت في وجهه تقول: «لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق. لا تحكم عليه وأنت لا تعلم شيئاً عن الأمر. اضطررت إلى الكذب، فأخبرته أنني أريد أن أعود إليك».

ـ وهل صدّق ذلك؟

ـ ليس في البداية. بقي يفكر في أنني فعلت هذا من أجله.

ـ وكيف استطعت اقناعه؟

ـ أخبرته أنك اتصلت بي في المعرض وأن هيلين ستؤكد له هذا. ولأنني أدركت أن الزواج منه غلطة، وافقت على العودة إليك وذلك قبل أن أعلم أن لديه مشاكل.

ـ مازال هذا العذر يبدو ضعيفاً بعض الشيء.

ـ اضطررت في النهاية إلى أن أخبره بأنني أحبك.

ـ وهل تحبينني حقاً؟

ـ لا بد أنك تمزح!

توتر فمه قبل أن يقول بجفاء: «أظن أن شعورك نحوي لم يعد مهماً مادمت هنا».

وفكرت بمرارة في أنه لا يهتم مثقال ذرة بمشاعرها، وهذه الحقيقة ستظل تؤلمها إلى الأبد.

ـ صدقني، ما كنت لأعود إلى هنا لو أن أمامي خياراً آخر. لكنني

لم أستطع الوقوف جانباً فيما تشارلز يتحطم.

ـ ألا تظنين أن الذنب ذنبه لتهوره وحماقته؟

ـ تشارلز ليس متهوراً ولا أحمق أبداً.

عبس رايان لدفاعها عنه: «حسناً، عليك أن تعترفي بأنه جازف وهو يشتري لوحة أصالتها غير مؤكدة تماماً. على أيّ حال، لعله لم ير قط اللوحة الأصلية، وإذا رآها فربما كان ذلك في صباه، لأنها بين مجموعة أوتيس جفرسن منذ ثلاثين عاماً».

ـ تشارلز يعرف لوحات رواسير جيداً، وكان مقتنعاً بأنها حقيقية. ثم من أنت حتى تدينه؟ هل سجلاتك دوماً بيضاء ناصعة؟

سكتت فجأة عندما خطرت لها فكرة. لقد افترض تشارلز أنها أخبرت رايان بأمر اللوحة الزائفة بعد أن عاد هو إلى البيت وأخبرها بذلك، لكنها لم تفعل بالتأكيد... كانت على حق... لا بد أن رايان يعلم منذ البداية. فسألته بصوت حاد: «كيف علمت بكل هذا؟ من المفترض أن الأمر تم في سريّة تامة. لا بد أنك كنت تعلم أي مأزق سيقع فيه تشارلز قبل أن يشتري...».

وتزايد الشك فتابعت تقول: «لا، هذا مستحيل إلا إذا...».

فقال يكمل جملتها: «إلا إذا كان لديّ حاسة سادسة؟».

ـ ولكن ليس لديك حاسة سادسة!

ـ لا، ليس لديّ.

ـ فكيف علمت إذن؟ ثلاثة أشخاص فقط عقدوا هذه الاتفاقية... البائع، ولا يمكن أن يكون هو من كشف الأمر، وتشارلز نفسه، وأندرسن، الرجل الذي اشترى اللوحة الزائفة.

عندما تردّد رايان، وكأنه يقرر ما إذا كان عليه أن يخبرها أم لا، ألحّت فرجينيا: «أريد أن أعرف كيف عرفت بذلك».

بدا عليه الهزل لحماستها هذه فرفع يديه بإستسلام: «لا بأس.

سأخبرك. كما تعلمين، كنت أبحث عن بعض اللوحات التي رسمتها أمك، فرتبت أمر تناول الغداء مع رجل يدعى أندرسن، وهو سمسار وجد لي في الماضي بعض اللوحات. وقد أشار إلى أن لوحة(آثار أقدام) ستعرض للبيع... على أن يبقى الأمر سراً. اهتممت للأمر، لأنني أعرف صاحب اللوحة جيداً. فالسير همفري بوست ليس صديقي فقط، بل هو أيضاً عم بيث...

رغم أن فرجينيا تعلم أن بيث إنكليزية، إلا أنها شعرت بدهشة تصل إلى حد عدم التصديق. لكن رايان تابع قائلاً: «قال السير همفري إنه اشترى اللوحة ليضمها إلى مجموعته الخاصة وإنه لا ينوي بيعها على الإطلاق... وعندما ذكرت ذلك لأندرسن، بدا متكدراً للغاية لأنه دفع ثمن ما علم الآن أنه زائف... وقد انخدع رينور بها مثله...».

ساور فرجينيا الشك. رغم أن ما قاله رايان منطقي للغاية... لكن المسألة كانت من التنظيم بحيث لا يمكن أن تكون مجرد مصادفة.

وبعد أن تأمل وجهها لحظة، تابع كلامه بشكل عفوي: «لا أظنك رأيت اللوحة؟».

ـ لا. لم أكن أعرف شيئاً عنها حتى الليلة الماضية. رغم أنني كنت دوماً أتمنى لو أرى هذه اللوحة، إلاّ أنني لم أر سوى نسخة عنها.

ـ إذا كنت ترغبين في رؤية اللوحة. فأنا واثق من أن السير همفري سيسعده أن يسمح لك برؤيتها.

في أي وقت آخر، كانت فرجينيا ستقفز فرحاً لهذه الفرصة، ولكن في هذه الظروف... قالت بحذر: «كنت سأسرّ بذلك، ولكن...».

ـ سأتصل وأرتب أمر المرور إلى بيته ونحن في طريقنا إلى المطار.

* * *

كان منزل السير همفري الفخم جميلاً قديم الطراز ومبنياً من

www.elromancia.com

الحجر. وكان السير همفري في أواخر السبعينات من العمر، ذا مظهر أرستقراطي مميز، بشعره الفضي وعينيه البنيتين اليقظتين، مما ذكر فرجينيا ببيث، التي صعقت على الفور لهذا الشبه العائلي الكبير بينهما.

قال السير همفري يخاطبها: «كنت أرجو أن تمكثا حتى وقت الغداء، لكن رايان يقول إن عليكما أن تكونا في المطار قبل الظهر. وهكذا، إذا تفضلتما بالمجيء من هنا».

عبرا الردهة الطويلة ذات الجدران المغطاة بخشب السنديان إلى غرفة محصّنة لحفظ الكنوز.

قال وهو يقودها إلى حامل لوحة ويزيح عنه خرقة تغطيه: «والآن، بالنسبة إلى اللوحة التي تريدين رؤيتها... أخشى أنك لن تريها في أفضل حالاتها».

نظرت فرجينيا إلى اللوحة وأدركت على الفور لماذا اعتبرت من أفضل أعمال رواسير، فهي قوية التأثير ومثيرة للعواطف معاً.

قالت فرجينيا بصوت خافت: «إنها رائعة».

وبدا الرضى على السير همفري: «نعم، هذا هو رأيي دوماً».

وقال رايان فجأة: «حان الوقت لذهابنا، يا حبي. شكراً جزيلاً يا همفري».

شكرته فرجينيا بدورها. وعندما ودعاه ربت على كتف رايان: «سررت لسماعي أخباركما السارّة. لا تنسَ أن تدعوني إلى العرس».

ـ لن ننسى.

شعر رايان بتصلب جسم فرجينيا، فوضع ذراعه حول خصرها، ومنحها ابتسامة جانبية وهو يتابع حديثه مع العجوز: «ستعلمك بالموعد حالما تسنح لنا الفرصة، أليس كذلك يا حبيبتي؟».

إذن، فهو ينوي الاستمرار وكأن شيئاً لم يحدث... حسناً، لن تكون شريكة له في هذا..

ما إن ساعد رايان فرجينيا على الصعود إلى السيارة وجلس بجانبها، حتى انطلقت بهما.

رأت فرجينيا أن الزجاج الذي يفصل بينهما وبين السائق مفتوح، فعضت شفتها ولم تقل شيئاً، فهي لا تريد أن تبدأ معركة يستمع إليها شخص آخر.

نظرة رايان الساخرة أنبأتها بأنه يعلم جيداً ما يدور في ذهنها، لكنه كان راضياً بأن يجعلها تترقب اللحظة المؤاتية.

كانت الرحلة إلى المطار، صامتة نسبياً. وحالما تمت الإجراءات الرسمية، صعدا إلى طائرة الشركة النفاثة.

رغم الغيظ الذي كان يملأ فرجينيا، اجتازت الإجراءات كلها كشخص يمرّ بحلم سيء، ولا يحاول الهرب لأنه يعلم أن لا مهرب له.

وبعد فترة وجيزة، أقلعت الطائرة.

بعدئذٍ، دخل مضيف ببزة بيضاء يدفع أمامه عربة الغداء. وحين انتهيا بقيا لوحدهما، وأصبحت فرجينيا قادرة على أن تنفس عن الغضب الذي يغلي في صدرها.

ما إن انغلق الباب، حتى استدارت إلى رايان تسأله: «لماذا أخبرت السير همفري بأننا سنتزوج؟».

ـ هل تريدين أن تبقي ذلك سراً؟.

صرفت بأسنانها وهي تقول: «ليس في نيتي أن أتزوجك».

ـ هل تراجعت عن الاتفاقية؟

ـ لكننا لم نتحدث عن الزواج؟

ـ هل تظنين أنني أخطط لعلاقة قصيرة. لا، أنا أريد ما أردته دوماً. الزواج، وعلى أساس دائم.

في أعماقها كانت تفكر أنّ بإمكانها دوماً أن تهرب مرة أخرى. ولكن الزواج سيصبح قيداً...

أضاف وهو يراقب وجهها الشاحب: «عندما دفعت ذلك المبلغ الكبير، كنت أتوقع في مقابله شيئاً كبيراً. . . أريد زوجة وأسرة».

أسرة؟ وكيف يمكنها أن تحمل أولاد رايان فيما هي تعلم أنه لا يحبها؟

وفجأة، قالت بيأس: «لا أظنني أستطيع احتمال ذلك».

فتغيّر وجهه: «هل الأمر سيء إلى هذا الحد؟ مرّ وقت كنت فيه سعيدة بالزواج مني».

ـ كان ذلك حين ظننت أنك. . .

وابتلعت عبارة (كنت تحبني) لتقول: «تعني زواجاً حقيقياً».

ـ وهل من زواج غير حقيقي؟

وإذ لم تستطع احتمال تهكمه، غطت وجهها بيديها: «لا أريد أن أتزوجك. يكفي سوءاً أنني مضطرة للعودة إلى نيويورك لأواجه أسرة تكرهني، وامرأة ستبتهج وهي تراني ذليلة، محطمة الكرامة. . .».

أمسك بمعصميها وأبعد يديها عن وجهها: «الأسرة لا تكرهك. وأنا واثق من أنهم سيكونون مسرورين جداً بعودتك إليهم. . . أما بالنسبة إلى مادلين، فقد رحلت إلى الأبد. طلقها ستيفن بعد أن هربت مع مخرج سينمائي».

للحظة واحدة، ارتفعت معنويات فرجينيا، إلاّ أن منطقها حدّثها بأن غياب مادلين لن يؤثر كثيراً على علاقتها برايان. لقد وقع الكثير من الضرر، ولو أن الأسرة لا تكرهها فقد كرهها هو. ولعله يلومها أيضاً على هرب مادلين الذي ما كان ليحصل لو لم تفسد عليهما خطتهما بفرارها، تلك الخطة التي مازالت تثير فيها مشاعر الغضب والغيظ المرّ. سحبت يديها من يديه وصرخت به: «سواء أكانت مادلين هنا أم لا، مازلت لا أحتمل فكرة الزواج بك. لا أريد أن أرتبط برجل يقيم علاقة مع زوجة أخيه. .».

تصلّبت ملامح رايان: «عندما نعود إلى البيت، أريدك أن تحتفظي بهذه الاتهامات لنفسك، خصوصاً أمام بيث».

ورغم أنه قال هذا بهدوء، إلاّ أنها أدركت أنه يأمرها بذلك. وأضاف قبل أن تحاول تحدّي أوامره: «أنا أرفض أن أكرّر ما قلته مرة أخرى».

ليت رايان يهتم بها كما يهتم ببيث، وليت مادلين لم تكن موجودة أبداً. . .

وفجأة، تنهدت فرجينيا شاعرة بالهزيمة والتعب. فسألها برقة: «هل أنت متعبة؟».

ـ قليلاً.

ـ لم تنامي جيداً الليلة الماضية!

منذ عودة رايان إلى حياتها وقلة الراحة جزء منها.

وأضاف بجفاء: «يمكنك أن تنامي فلديّ عمل أنهيه».

نهضت محمرّة الوجه، محدّثة نفسها بأن هذا يريحها، ولكن هذه الراحة كانت في الحقيقة، خيبة أمل.

* * *

١٠ ـ القرار

قال وعيناه تلمعان: «تبدو عليك خيبة الأمل. إذا كنت كذلك، فيمكن للعمل أن ينتظر».

عجبت كيف يمكنه أن يقرأ أفكارها، وقالت بجفاء: «أنا لا أشعر بخيبة أمل».

ـ يا حلوتي الصغيرة الكاذبة.

وتقدم إليها ملامساً خدّها بإصبعه، فإذا بها ترتجف: «ربما لا تريدين أن تتزوجيني، لكنك تريدين أن أعانقك..».

ورغم كل قلقها مما يخبيء لها المستقبل، كانت تشتاق إليه، تحن لرؤيته، وتتألم لأجله. لم يكن انجذابها إليه مجرد انجذاب جسدي، بل يطال كيانها بأجمعه. أشاحت فرجينيا وجهها لتخفي مشاعرها، إلا أنه أدارها نحوه قائلاً برقة: «لا تستطيعين إخفاء ذلك... أشعر بخفقات قلبك تتسارع، وكذلك أنفاسك. فلماذا تنكرين حبك لي؟».

وقبل أن تتمكن من الدفاع عن نفسها قال بهدوء: «إذا كنت تريدين أن تنامي، فلا بأس. أنت بحاجة إلى الراحة».

ها هو يلقي بالكرة في ساحتها، وهي لا تريده أن يشمت بها منتصراً، فقالت له بقدر إمكانها من النفور: «نعم، أريد ذلك».

ـ اذهبي إذن.

كان عليها أن تأخذ حذرها من نعومة صوته الفولاذية، لكنها

استدارت متجهة إلى غرفة النوم ظناً منها أنها انتصرت.

ـ لكن، أولاً، ألن تمنحي خطيبك عناقاً صغيراً...

لحق بها بخفة، وقبل أن تتمكن من التكهن بنواياه، أدارها نحوه وعانقها. وعندما أطلقها وتراجع إلى الخلف، ترنحت، فاضطر إلى أن يسندها.

قال لها بصوت ساخر: «نامي جيداً لكي تصل إلى نيويورك وأنت نشيطة».

فردت بصوت ثقيل: «أنت خنزير حقير».

تظاهر بالألم: «لم أتوقع هذه الشتيمة».

وإذ كانت تعلم جيداً أن رايان عادة، أكثر رقة وإحساساً، وأنه فعل هذا عمداً، قالت له غاضبة: «إذهب إلى جهنم! أنت تريد أن تعاقبني وتذلني فقط. أنت قاس وسادي..».

توتر فمه وكأنه يتألم: «إذا كنت أنا كذلك، فهذا ما فعلته أنت بي..».

وأمسك بكتفيها ثم وقف ينظر إليها وعلى وجهه كآبة غريبة، لكنه لم يتفوه بكلمة قبل أن يخرج من الغرفة. جلست على السرير وأخذت تنظر في أثره. وعندما لم تهدأ مشاعرها، راحت ترتجف بعنف.

ما الذي هدف إليه بقوله: «إذا كنت أنا كذلك فهذا ما فعلته بي..».

بدت عليه مرارة بالغة كما بدا غاضباً للغاية منها ومن نفسه...

بعد دقيقة أو اثنتين، حاولت خلالهما أن تسيطر على أطرافها المرتجفة، تكومت تحت الغطاء. وما إن لمس رأسها الوسادة حتى استغرقت في النوم، ولم تستيقظ إلا والطائرة تهبط بهم، ورايان يدق الباب حاملاً إليها كوب شاي منعش.

لو بدا بحالته المعتادة، لحاولت أن تتحدث إليه، لكنه بدا متحفظاً

www.elromance.com

ولا مجال للتحدث إليه.

وجدت نيويورك حارة ومشمسة ومألوفة إلى حدٍ يحطم القلب، فيما كانت السيارة تجول بهما في الشوارع مرة أخرى. الفرق الوحيد هو أن رحلتهما هذه المرة سادها الصمت، حيث أن رايان الذي كست وجهه الكآبة، راح يحدق إلى الفضاء، وكأن هموم الأرض كلها على كتفيه.

تذكرت بهجتها أثناء زيارتها الأولى، وقارنتها بمشاعرها الآن. وحين توقفت السيارة أمام برج فالكونر، كانت فرجينيا قد أصبحت كتلة من الأعصاب.

وسخر القدر منها، فقد استقبلهما الحارس نفسه الذي ضحك لهما وقال: «مساء الخير يا سيد فالكونر. يسرّني أن تعودي يا آنسة آدامز».

استطاعت أن ترد عليه باسمة: «شكراً يا جورج».

استقلا المصعد حيث وقفا متباعدين متجنبين أي احتكاك بينهما وكأنهما غريبان.

عندما وصلا إلى الطابق الأعلى، فتح لها رايان باب شقتها، مشيراً إليها بالدخول.

ـ ستقيمين هنا طالما نحن مخطوبان.

فقالت متلعثمة: «اممم. . نعم. شكراً».

كانت الشقة كما تتذكرها بالضبط، فسيحة مشمسة. وغمرتها الذكريات.

وضع المفتاح في يدها وقال بهدوء: «طلبت بيث أن تنزلي لتريها حال وصولك».

فابتلعت فرجينيا ريقها بصعوبة: «طبعاً».

قال بلهجة أكثر إنسانية: «لا حاجة بك إلى هذا القلق كله، فأنت لست مضطرة لمواجهتهم جميعاً. جانيس تمضي عطلتها الأسبوعية في واشنطن، وستيفن في إجازة مع صديقته الجديدة، وهكذا فإن بيث

وحدها هنا».

فقالت لكي تنهي كل شيء وتستريح: «سأنزل إليها الآن. إنما. . . ماذا عليّ أن أقول لها؟».

فرفع حاجبيه: «عن أي شيء؟».

ـ رحيلي المفاجىء ذاك.

ـ أنت تترددين في أن تحقريني في عينيها؟

وأضاف بلهجة لاذعة: «يدهشني اهتمامك هذا».

ـ لو لم أهتم بالحفاظ على هذه الأسرة، لأخبرتها حينذاك بما أخبرتني به مادلين.

ـ من المؤسف أنك لم تفعلي، والأمر كله مجرد أكاذيب. وكانت بيث ستدرك ذلك.

عندما أخذت فرجينيا تحدق إليه، وقد تأثرت لرنة الصدق الواضحة في صوته، قال: «عندما تنزلين إلى الطابق السفلي، أريدك أن تلبسي هذا. .».

وبحث في جيبه ثم أخرج خاتماً وضعه في إصبعها.

ـ كنت أنوي أن أعطيك إياه قبل الآن، ولكن. . .

وسكت وهو يهز كتفيه، فحدّقت إلى حجر العقيق وكأنها في حلم. إذن فقد بقي محتفظاً به طوال الوقت. . .

وعندما أشاح بوجهه، قالت وهي تكاد تبكي: «أرجوك يا رايان. . . ألن تأتي معي؟».

ـ أظن أنّ عليك أن تقومي بهذا وحدك. إمرأة لامرأة كما يقول المثل.

ـ لكنني لا أدري ماذا أقول لها. . . وبماذا أخبرها. . . ماذا لو سألتني لماذا عدت إليك؟

لوى فمه بما يشبه الإبتسامة: «حاولي أن تقولي الحقيقة. بيث هي

www.elromancia.com

أقوى مما تبدو عليه».

نظرت إليه وهو يسير مبتعداً، وأدركت أنه لن يمنحها مزيداً من العون، فترددت. أغاظها جبنها، لكنها انتصبت بقامتها، ثم نزلت إلى الطابق السفلي.

فتحت بيث الباب، وبعد نظرة واحدة إلى وجه زائرتها، فتحت لها ذراعيها. هذا العناق الدافىء بدّد توتر أعصاب فرجينيا فاغرورقت عيناها بالدموع.

قالت بيث وعيناها تتألقان إلى حد مريب: «لا حاجة بك إلى إبداء الأسف. ثمة من ينتظرك ليراك..».

وسارت أمامها إلى غرفة الجلوس وفتحت الباب وهي تتابع: «وهكذا يمكنك أن تتحدثي بصراحة تامة وسأنتظرك في المطبخ».

نهضت مادلين واقفة لدخولها، وعندما رأت الصدمة على وجه فرجينيا، قالت: «لا، لم يكن حضوري إلى هنا فكرتي».

وبمزيد من الحقد أضافت: «أنا راحلة في الصباح الباكر، لكن حماتي السابقة أصرت على أن آتي إلى هنا».

فأجابت فرجينيا فجأة: «لا بد أن لديها سبباً لذلك».

ـ نعم، تريدني أن أخبرك بالحقيقة عما حدث بيني وبين رايان...

فقاطعتها فرجينيا بهدوء: «أنا أعرف هذا. كان بينكما علاقة انتهت قبل زواجك من ستيفن. ولأنك كنت غيوراً، ولا تريدين أن يتزوجني رايان، أخبرتني بكمية من الأكاذيب».

فقالت مادلين بازدراء: «وكنت أنت من الحماقة بحيث صدقتني. لو أراد رايان أن يتزوجني، لما تركته بسهولة مثلك. لكنني كنت أريده، بينما أنت لم تكوني تريدينه، وإلا لناضلت لأجله. من المؤسف جداً أنه مهووس بك. فأنت لا تستحقينه».

ثم استدارت واتجهت إلى الباب. وبعد لحظة كان الباب ينصفق

خلفها.

وعندما استطاعت فرجينيا أن تتمالك نفسها، اتجهت إلى المطبخ بساقين تكادان لا تقويان على حملها.

قالت بيث: «ربما ما كان لي أن أفاجئك بالأمر بهذا الشكل، لكني ظننت أن ذلك ضروري».

ـ كيف استطعت أن تقنعيها بالمجيء؟ هل أنت من فعل هذا؟

ـ نعم، ورايان لا يدري شيئاً عن ذلك... وقد يغضب تماماً عندما يعلم.

وسألتها بتردد: «لديّ سؤال واحد... كيف علمت أن مادلين هي التي سببت كل تلك المشاكل؟».

ـ لم أتأكد من ذلك إلا منذ يومين، عندما جاء رايان من لندن قائلاً إنه بحاجة إلى أن يتحدث إلي، وأخبرني بكل ما حصل. كان شاحب الوجه يتميز غيظاً وغضباً. كم أتمنى لو أنك تحدثت إليّ بدلاً من أن تهربي...

فقالت فرجينيا من كل قلبها: «ليتني فعلت ذلك، لكنني خفت عليك..».

وسكتت، فقالت بيث: «إن معرفتي الجيدة برايان تمنعني من أن أصدق لحظة واحدة هذا الهراء..».

تنهدت فرجينيا بألم عميق. ثقة بيث الكاملة برايان كانت أشبه بخنجر غُرز في قلبها. ليتها تملك مثل هذه الثقة...

وتابعت بيث: «كما أنه واقع في الحب، وهو رجل إمرأة واحدة».

فهمت فرجينيا بألم بالغ: «ما كان لهذا أن يحدث لو أنني وثقت به».

ـ ربما لم تكوني تعرفينه جيداً. إنما الآن... حسناً. أمامك الحياة بطولها...

وعندما رأت ملامح فرجينيا المعذبة، سألتها بقلق مفاجىء: «الأمر على ما يرام الآن، أليس كذلك؟ أرى خاتمه قد عاد إلى إصبعك، وأنت مازلت تحبينه، أليس كذلك؟».

ـ نعم، مازلت أحبه. حتى عندما صدّقت عنه أسوأ الأمور، لم أتوقف عن حبه قط.

ـ حاولي إذن أن تخبريه بذلك.

ـ فات الأوان. فهو لم يعد يحبني. وكل ما يريده هو أن ينتقم. إنه يكرهني لأنني تركته بهذا الشكل.

لكن بيث هزت رأسها: «رغم أنه تألّم وخاب أمله لأنك شككت به، إلا أنني واثقة جداً من أنه لا يزال يحبك. إذهبي وتحدثي إليه الآن.

جاهدت فرجينيا لصد ذلك الفيض من المشاعر الذي هدد بإغراقها. وقبل أن تصل إلى السلم، راحت تبكي. وإذ كانت تعلم أنها لا يمكن أن تواجه رايان إلا بعد أن تتمكن من السيطرة على نفسها، توجهت إلى شقتها ثم دخلتها وقد أعمتها الدموع.

ليتها لم تسمح لمادلين بأن توقع بها بذلك الشكل... ولكن ما فائدة لوم مادلين؟ فالذنب ذنبها هي. فهي التي سببت كل ذلك الألم لها ولرايان بسبب قلة ثقتها به.

وكما قالت بيث، لم تكن تعرفه حقاً.

وتذكرت كيف أنه، عندما وصفته بالقسوة والسادية، قال: (إذا كنت كذلك فهذا ما جعلتني أنت عليه...) وشعرت وكأنها تنزف حتى الموت. تملكها العذاب فجلست على الأريكة وأخذت تشهق شهقات عميقة منهكة.

قال رايان بخشونة: «بحق الله لا تبكي بهذا الشكل».

أجفلت ورفعت وجهها المبلل بالدموع لتراه واقفاً بالباب.

ـ لم يكن الباب مغلقاً جيداً فدخلت. سأخرج إذا شئت.

وكان الأوان قد فات فهزت رأسها. أما هو فقطب جبينه: «حتماً إن بيث لم...؟».

ـ لا. كانت بيث رائعة...

وكأن فيضاناً حصل، بقيت الدموع تتدفق منهمرة على خديها، واستمرت الشهقات تتواتر من حلقها. تأوّه وهو يتقدم ويجلس بجانبها ثم أخذها بين ذراعيه. أراح رأسها على صدره وأخذ يهدهدها وكأنها طفلة.

ـ آسف لطريقة معاملتي لك. لقد تصرّفت بحقارة.

ولشدة ما أحسّت بالذنب، لم يفلح اعتذاره سوى في استدرار المزيد من دموعها.

أخذ يواسيها بكلمات غير مترابطة وتركها تبكي كما تشاء وهو يحتضنها. عندما هدأت شهقاتها أخيراً، أخرج من جيبه منديلاً وأخذ ينشف به وجهها.

أخذت منه المنديل، وقالت بحزن: «آسفة، ما كان لي أن أتصرف بهذا الشكل. لا بد أنني أبدو فظيعة الشكل».

نظر إلى أنفها الوردي وعينيها المنتفختين وخديها الملطخين وهز رأسه: «تبدين جميلة للغاية».

وصدر عنها صوت هو بين الضحك والبكاء، وانحدرت آخر دمعة على خدها.

مسح الدمعة وقال: «كفّي عن البكاء. سيكون الأمر على ما يرام. أتعهد لك بذلك».

فسألته بصوت خشن: «أحقاً؟».

ـ ما كان لي أن أحاول إعادتك إليّ فيما يبدو جلياً أنك تكرهين هذه الفكرة. يمكنك أن تعودي إلى بيتك متى شئت.

كان هذا آخر ما توقعت أن تسمعه، فقالت بتبلّد: «لا أفهم».

وعندما كرّر كلماته، سألته: «ماذا بالنسبة إلى تشارلز؟».

ـ لا تقلقي. أنا لا أنوي استرجاع نقودي منه فقد عقدنا صفقة.

ـ لماذا؟

فتنهد: «لم تكن صفقة عادلة».

ـ بل كانت أكثر من عادلة. إنها سخيّة، وقد وافقت أنا عليها.

ـ لم يكن أمامك خيار. ولكن عندما أقول صفقة غير عادلة، فأنا أعني هذا بالضبط. ما أخبرتك به سابقاً، كان غير صحيح أبداً. فقد وضعت الخطة بأكملها.

وعندما حدّقت إليه فاتحة فمها، قال موضحاً: «السيد سميث الذي تحوّل إلى ممثل ماهر، كان يعمل عندي».

ـ هل أنت من باع تشارلز اللوحة الزائفة؟

ـ لا. أنا بعته اللوحة الحقيقية.

ـ هل استعرتها من السير همفري؟

ـ بيث هي التي فعلت ذلك. وقبل أن تدينيها، اعلمي أنها فعلت ذلك متلهفة لأن نجتمع معاً من جديد، ويعود كل شيء على ما يرام.

ولكن الأمور ليست على ما يرام...

نبذت هذه الفكرة من رأسها، وقالت له: «لا أفهم كيف استطعت ترتيب ذلك».

ـ أندرسن... يعمل معي أيضاً. إدّعى أنه سمسار لوحات فنية، اتصل برينور مظهراً اهتمامه بأعمال رواسير. وحالما وقع رينور في الفخ، إتصل بأحدى مؤسساتي المالية... فقدمت له قرضاً قصير الأمد بشروط حسنة. اشترى أندرسن اللوحة، واستعاد رينور نقوده، ولو أبديت أي دليل على رغبتك في العودة إليّ، لتركت الأمر عند هذا الحد. ولكن إصرارك العنيد على الزواج منه أرغمني على الاستمرار.

ارتجفت فرجينيا. لا بد أن رايان كان متلهفاً إلى الانتقام لكي

يتحمل كل ذلك العناء.

سألته بفضول: «ماذا كنت ستفعل لو أني رفضت التعاون معك؟».

ـ كنت سأخبر رينور الحقيقة. لكن نظراً لما أعرفه عن شخصيتك، فكرت في أن الرهان على تعاونك لن يخيب.

فقالت بكآبة: «كل هذا لكي ترغمني على العودة إليك؟».

ـ كلمة(إرغام) تعني الإكراه. كان ينبغي أن أفكر بتعقل لأدرك أنّ هذه الطريقة لن تنجح.

وتنهد بعمق: «لكنني لا أطيق رؤيتك تعيسة بهذا الشكل. حالما تصبحين جاهزة للرحيل، سأعيدك إلى لندن».

لو كان ما يريده هو مجرد الانتقام، لما اهتم بمقدار تعاستها. وتذكرت ثقة بيث بأنه مازال يحبها، فاستجمعت شجاعتها وقالت: «لا أريد أن أعود إلى لندن».

ـ حسناً، إذا كنت تفضلين البقاء في نيويورك، فسأشتري لك شقة و...

ـ لديّ شقة... رغم أنني أفضل أن أسكن في «الشقة الأخرى»..

ـ أنت لست مضطرة للعيش هنا لمجرد أننا عقدنا صفقة...

ـ نعم، أنا لست مضطرة للعيش هنا وإنما أرغب في ذلك.

فهز رأسه: «لا أطيق أن أراك تعيسة بهذا الشكل».

ـ كنت تعيسة فقط لأنني تسبّبت بكل هذه المشاكل.

ومع ازدياد يأسها، قالت: «أرجوك يا رايان، أنا أحبك. لم أتوقف عن حبك وأريد أن أتزوجك».

ـ لقد فكرت كثيراً في الساعات القليلة الماضية فرأيت أن زواجنا لن ينجح. فالزواج يجب أن يؤسس على الثقة بالإضافة إلى الحب.

عضت شفتها حتى شعرت بمذاق الدماء: «عدم ثقتي بك هو أمر ندمت عليه بكل مرارة... ربما، كما تقول بيث، لم أكن أعرفك إلى

www.elromancia.com

حد كافٍ. وهكذا صدقت ما أخبرتني به مادلين. . . وكانت هي رائعة الجمال. . ».

ـ كانت حقيرة سافلة، ولسوء الحظ استغرقت معرفتي هذا وقتاً. أدركت منذ البداية أنها تسعى وراء المال. ولكن، كما تقولين، كانت رائعة الجمال. ابتدأت المشكلة عندما سئمت منها بسرعة. أردت أن أعطيها مبلغاً من المال وأتخلص منها. ويبدو أنها طمعت بالزواج، وعندما أوضحت لها أني لا أنوي الزواج منها، قررت أن تحصل على زوج غني، وهكذا نقلت اهتمامها إلى ستيفن. كانت مادلين تتحيّن الفرص لتعود إليّ، ولم أعلم بنيتها حينذاك وإلا لأوقفتها عند حدها. . .

فقالت بحزن: «اللوم لا يقع على مادلين وحدها. أنا ملامة مثلها لأني صدّقتها».

ـ لماذا صدّقتها؟

حاولت أن تفسر الأمر: «ربما لم يكن الأمر مقتصراً على عدم الثقة بك، بل بنفسي أيضاً. لم يسبق أن أحبني أحد قط. . .».

رقّت أساريره بينما تابعت هي تقول: «منذ البداية، لم أستطع أن أتصوّر لماذا تزعج نفسك بفتاة عادية مثلي. لم أفهم لماذا تتكبد كل تلك المشقة لكي تعثر على موظفة للمعرض، وكنت شبه مقتنعة بأن لديك مصلحة مع والدتي. حتى عندما عرضت عليّ الزواج، لم أصدق أنك تريد أن تتزوجني. . . رغم أنني أحببتك من أول نظرة، كان من المستحيل أن أصدق أنك تحبني. لقد فاجأني الوضع للغاية. .».

ـ مع أن الأمر لم يكن مفاجئاً على الإطلاق. فقد أحببتك حتى قبل أن نتعارف.

حملقت فيه قائلة: «ولكن هذا غير ممكن».

ـ اسمحي لي أن أريك شيئاً.

أمسك بيدها وأخرجها من شقتها ليدخلها إلى شقته. وفي غرفة الجلوس لاحظت لوحة لم ترها قط من قبل.

كانت لوحة صغيرة لصبية ذات شعر كستنائي طويل جعد مسترسل على كتفيها، تجلس على مقعد خشبي مرتفع وتنظر من نافذة بللها المطر. كان جسدها النحيل، في ذلك القميص البسيط القطني الوردي، مسترخياً يوحي بالغم والانقباض، ووجهها الجميل يبدو كئيباً.

عندما أخذت تحدق في اللوحة صامتة، قال رايان: «رأيت لوحة(صبية الأربعاء) لأول مرة منذ ثلاث سنوات حين عرضت لوحات أمك. سمحت لي بأن أدخل مرسمها وأبحث عن بعض لوحاتها التي لم يسبق عرضها. وفجأة رأيتها. سحرتني اللوحة منذ اللحظة الأولى. ولم أستطع أن أرفع نظراتي عنها. ولو كان الوقوع في غرام صورة ممكناً، فقد وقعت أنا في الغرام. تصورت نفسي الشخص الذي تنتظره تلك الصبية. الشخص الذي سيحوّل أحاسيس الرفض والحزن، إلى دفء وسعادة. وتعبت كثيراً قبل أن تعترف أمك أخيراً، ورغماً عنها، بشخصية الفتاة. وعندما سألتها أن تبيعني اللوحة أجابت بأنها ليست للبيع، كما رفضت أن تعرضها في المعرض. لم تستطع برأيي أن تحطم عملاً فنياً جيداً، لكنها أخفت هذه اللوحة لأنها تكشف الكثير. كانت تظهر بوضوح فشلها كأم، وربما كانت تشعر بالخزي. مرّت أسابيع عدة قبل أن أجعلها تتحدث عنك. ولم أسترح قبل أن أرى بنفسي شكلك في الواقع. وكنت أجمل من صورتك، وكان افتتاني بك فورياً مرة أخرى. . .

رفعت إليه وجهاً متألقاً: «إذن، فقد أحببتني حقاً؟».

ـ وبجنون.

ـ بيث تظن أنك مازلت تحبني.

فقال بجفاء: «أحقاً؟ وما رأيك أنت؟».

اهتزت ثقتها فجأة، وقالت: «لا أدري».

فتنهد: «أخبريني ماذا عليّ أن أفعل أو أقول لكي أقنعك».

اقتربت منه ووضعت يديها على صدره: «قل: إبقي معي. . . قل: تزوجيني. . .».

ـ هل أنت واثقة من أن هذا ما تريدينه؟

ـ نعم، واثقة.

أمسك بيديها وقال: «إبقي معي. . . تزوجيني. . . ولا تتركيني أبداً مرة أخرى».

ـ لن أتركك.

ضمها بين ذراعيه بحنو وعاطفة لا مثيل لهما.

سألته فرجينيا: «كيف حصلت على اللوحة؟ ألم تقل إن أمي رفضت التنازل عنها؟».

ـ بعد هربك، ذهبت لرؤية والديك لأرى إن كان لديهما فكرة عن مكانك، لكنهما لم يستطيعا أن يفيداني. وبعد ذلك بيومين وصلتني لوحة(صبية الأربعاء)، هدية من أمك.

ـ إذن كانت لديك عندما قصدت تشارلز ليحصل عليها من أجلك؟ أردت فقط أن تزلزل حياتي؟

سألها: «وهل نجحت؟».

فارتجفت: «نعم. جعلتني أموت خوفاً من ذلك الحديث عن الانتقام».

ـ وهذا ما كان بالضبط. . . مجرد حديث. أردتك أن تعودي إليّ. لكن كرامتي لم تسمح لي بالتوسل. ففكرت في أننا عندما نعود إلى بعضنا البعض وتستقر الأمور بيننا، سأخبرك بالحقيقة. أخبرك كم أحبك.

ـ استمر في حديثك.

لامس خدها بإصبعه: «لقد أخبرتك».

دنت منه أكثر وقالت بلهفة: «أحب أن أسمع ذلك مرة أخرى».

ـ أحبك أكثر مما تستطيع الكلمات أن تعبرّ عنه. وإذا استطعت تحمل سماع ذلك يومياً، فسأستمر بتكراره إلى آخر حياتي.

ـ حاول.

أطلّت السعادة من عينيه وضحك، ثم عانقها: «سأبدأ بهذا الآن».

* * *

www.elromancia.com